جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ

للصف الأول الإعدادى

العام الدراسى ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

قرّرت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب بمدارسها

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

عُقبة بن نافع
أو
فاتحُ إفريقيّة

للصف الأول الإعدادى

بقلم

عَلى الجمبلاطى عبد المنعِم قنديل

العام الدراسى ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

إن هذا الكتاب جليل بما حوى، أثيل بما طوى؛ لأنه يتناول شخصية جليلة، حملت عبء الجهاد فى سبيل الله، وانضوت تحت راية الإسلام تنافح عنه، وتشق للدعوة إليه طريقا بين الكثير من العوامل المثبطة للعزائم. لم يصبها الكلل، و لم يعتورها الملل.

تلك الشخصية هى شخصية (عقبة بن نافع) الذى صدق إيمانه، وسمت أخلاقه، وتألقت صفاته، التى أهلته لحمل الأمانة، والنهوض بالرسالة، فاستطاع أن يقوم على الدعوة للإسلام ويثابر عليها، ويناضل عنها طوال حياته.

كان شديدا فى الحق، يمقت الظلم والظالمين، متواضعا يخفض جناحه للأصاغر والمساكين. ناهيك عن أنه كان مستجاب الدعوة؛ لأنه كان من الأخيار المتقين.

إن (عقبة بن نافع) لم يستمد مكانته العالية التى ازدان بها التاريخ ، من النسب والحسب، ولا من المال والمنصب، وإنما استمدها من أنه أبلى فى سبيل نشر الإسلام أحسن البلاء، وضحى أعظم التضحية، لنصرة الحق وإعلاء كلمة الله؛ لتكون هى العليا، ففتئ الزمن يلهج ببطولاته، وعجزت الشمس عن أن تشرق مثل إشراق فتوحاته.

كان عقبة – أمام الأحداث – قويا، لا تلين قناته، ولا تفل شباته، ولا ينصرف عما رسم لنفسه من طريق، لا تثبت أمامه الأحداث والخطوب، وإنما تفر أمامه نافرة، وتنهزم أمامه شاردة.

أغرى البعض بينه وبين الخليفة معاوية فعزله، ولكن الزمن أثبت أنه أشد من غيره بأسا وبطشا، وأعظم منه حولا وطولا، فأعاده الخليفة يزيد، وظل طوال حياته باسماً للنعمة، راضيا بالنقمة، لا تدفعه تلك إلى أشر ولا بطر، ولا تضطره هذه إلى ضعف ولا خور، وظل طوال حياته مجاهدا ثابتا لخصومه، ساخرا بالكوارث التى كانت تنتابه من أعدائه.

لقد تنبأ له عمرو بن العاص بأنه سيكون بطلا من أبطال الإسلام، حتى إذا بلغ مبلغ الشباب أجاد الكر والفر، واكتسب مهارة عسكرية فائقة، وصار ذا مقدرة حربية خارقة.

أبلى فى فتح الشام ومصر، ومنها انطلق إلى إفريقية يرفع على أرضها راية الإسلام الذى نقاها من الظلم والظلام، وبعث فى آفاقها نور الهداية والعدل والسلام، وقدم لها أرفع القيم، وأسمى الأخلاق، وأصدق التعاليم فى رسالة سماوية، مبادئها إشراق وعدل وصفاء، وتعاليمها هداية وخير ونقاء. وبعد أن قدم لدينه أصدق ولاء وأشد انتماء، فاضت روحه الطاهرة ليكون فى مقدمة الشهداء.

ومن منطلق رسالة المدرسة وتعريف التلاميذ بقواد الإسلام الفاتحين، وأبطاله العادلين، كان الاختيار لكتاب (عقبة بن نافع) لتلاميذ الصف الأول الإعدادى؛ ليشبوا متمسكين بدينهم، منافحين عنه، وليقوى ولاؤهم لوطنهم وقوميتهم، ينبرون للذود عنهما. ويسترخصون فى سبيل عزتهما، وكرامتهما النفس والنفيس، إذا برقت لهما فى الأفق جائحة. إن هذا الكتاب يؤكد:

١ – الحرية فى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**لا إكراه فِي الدين**﴾(١) .

٢ – سماحة المسلمين، قال الله عز وجل: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِى أَحْسَنُ فَإِذا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٢).

٣ – دعوة الإسلام إلى السلام، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾(٣).

٤ – دعوة الإسلام إلى العدل والإحسان، قال الله تعالى:
﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ (٤).

٥ – وضع القيادة الإسلامية فى مصاف القيادات العالمية.

٦ – أن انتشار الإسلام لم يكن بحد السيف، وإنما كان بالمساواة والعدل وسماحة المسلمين، ودفع الظلم عن المظلومين، والحيلولة دون اعتداء المعتدين.

٧ – مكانة مصر ودورها العظيم فى نشر النور والهداية والحضارة بين الإفريقيين، الذين اعتنقوا الإسلام مقتنعين.

والله المستعان ..

عبدالمعز أحمد داود الغمراوى

(١) سورة البقرة – من الآية (٢٥٦).
(٢) سورة فصلت – من الآية (٣٤).
(٣) سورة الأنفال – من الآية (٦١).
(٤) سورة النحل – من الآية (٩٠).

١

بُطولةٌ مُبكِّرةٌ

تحتَ شَمْسِ الصَّحراءِ المحْرِقَة.. وفى جَوِّها اللَّافِحِ[١].

فى البيئَةِ التى يَنْشَأُ فيها الرِّجالُ أشِدَّاءَ أَقْوِياء.

فى المجْتَمعِ الَّذى لا يعتزُّ إلا بالفتُوَّةِ والجرأةِ والإِقْدَام..

على الأرضِ الَّتى يَقْتَحِمُ[٢] أَهْلُهَا المخاطِرَ... ويَصْنعُونَ البُطُولاَتِ.

وُلِدَ طِفْلٌ فى بيتِ نَافِع بنِ عبدِ القيسِ الفِهْرِى.. أحَدِ أشرافِ مكَّة، وأبطالِهَا المعْدودين.

سَمَّاهُ والدُه (عُقْبة)، تَيَمُّنًا[٣] بهذَا الاسمِ الذى يُطلَقُ على عَدَدٍ من فُرسَانِ قُرَيْشٍ الأقوياءِ الأشداءِ الَّذينَ يقهرونَ الأعداءَ.

وُلِدَ الطِّفْلُ، والصِّراعُ يومَئِذٍ على أشُدِّهِ بين النَّبىِّ - ﷺ - وبينَ قُريشٍ.. وبَعدَ ميلادِ الطِّفل بِسَنَةٍ واحدةٍ هَاجَرَ عليه الصَّلاةُ

(١) اللافح: المحرق.
(٢) يقتحم: يدخل.
(٣) تيمنا: تبركا.

والسَّلامُ من مَكَّةَ إلى المدينة ؛ لِيتَحاشَى[١] أذَى المشْرِكِين، وَلِيَفْتَحَ صفحاتٍ جديدةً للإسلامِ فى بُقْعَةٍ أُخرَى مِنْ أراضِى الجزيرة العربيَّةِ.

أوَّلُ كلماتٍ طرقت سَمْعَ الطِّفلِ الصَّغيرِ، هِيَ كلماتُ : «الجِهَادِ» و « الغَزْوِ » و « الفَتْحِ » ؛ لأنّ والدَه كان من السَّابقينَ الأَوَّلينَ فى الإِسْلامِ... وكانتْ هذه الكلماتُ تَتَرَدَّدُ على شَفَتيْه.. كما تتردّدُ على شَفَتَىْ كلِّ من آمن باللهِ ورسُولِهِ، واعتنق الإِسلامَ عن إيمانٍ وعَقِيدةٍ.

لم يَكنِ الطِّفْلُ يَعِى[٢] مَعْنَى هذه الكلماتِ فى سَنَواتِهِ الأولى... ولكنْ بعد أن شَبَّ عن الطَّوقِ[٣] وأصبح يُدْرِكُ ما يَجْرِى حولَهُ من أحداثٍ، تَفَهَّمَ معنى كلماتِ « الجِهادِ » و«الغَزْوِ » و«الفَتْحِ».

وذاتَ يومٍ، وكان قد بَلَغ التاسعةَ من عُمْرِهِ سَمعَ أنَّ النبىَّ ﷺ دخَلَ مكةَ فى جَيْشٍ يَضُمُّ خِيَرَة[٤] أبناءِ الجزيرةِ العربيَّةِ، وأنّه تسامَحَ مع خُصُومِهِ، وقالَ لَهُمْ : « اذهَبُوا فَأنْتُم الطُّلَقَاءُ[٥]».

(١) ليتحاشى : ليتجنب .
(٢) وعى الشىء يعيه : حفظه وفهمه .
(٣) شب عن الطوق : جاوز مرحلة الصغر .
(٤) خيرة : أشراف .
(٥) الطلقاء : جمع طليق وهو من خلى سبيله .

C M Y K

نَمَا (عُقْبَةُ) وحُبُّ الجِهَادِ يَجْرِى فى عُروقِهِ، وَيَمْلأ كُلَّ ذرَّةٍ فى كِيانِهِ... وأحَبَّ أنْ يكونَ من أبْطالِ المبارَزةِ، فتدرَّبَ مع الشَّبابِ المسْلمِ على حَمْلِ السِّلاح... وأعانَهُ على إشْباعِ هذه الرَّغبةِ فى نَفْسِهِ عمرُو ابنُ العَاص (١) ؛ لأن عقبةَ كانَ ابنَ خالتِه، وكثيرًا ما كان يَلْتَقِى به، وَيَسْمَعُ منه قِصَصَ البُطولةِ التى يَقُومُ بِهَا المسْلمُونَ أثْنَاءَ حُروبِهِمْ ضِدَّ أعداءِ اللهِ.

كانَ عَمْرٌو يَعْتَقِدُ أنَّ (عُقْبَةَ) سيكونُ بطلاً من أبطالِ الإِسْلاَمِ، فَهُوَ إذْ بَلغَ مَبْلَغَ الشَّبابِ راح يُجِيدُ المبارزَةَ، ويُبْدِى مهَارةً فائقةً فيها...

وَعِنْدَما أسْنَدَ الخَلِيفةُ (عُمَرُ بنُ الخطَّابِ) فَتْحَ الشَّامِ إلى (عَمْرِو ابنِ العَاص)، جَعَلَ فى مُقَدِّمَةِ الجَيْشِ (عُقْبَةَ بْنَ نافعٍ)، وهو شابٌّ لم يَبْلُغْ بعدُ سنَّ العِشْرِينَ...

أبْلَى (٢) عُقْبـةُ فى فَتْحِ الشَّامِ بلاءً حسنًا، وَأظْهَرَ مَقْدِرَةً خارقةً

(١) عمرو بن العاص : يكنى أبا عبد الله . أسلم فى السنة الثامنة قبل الفتح بستة أشهر ، فتح مصر ، وظل واليا عليها حتى مات عمر بن الخطاب فأقره عثمان عليها ٤ سنوات ، ثم عزله، لكنه أعاده إليها ولبث واليا عليها حتى مات فى أول شوال سنة ٤٣ هجرية وعمره تسعون سنة، ودفن بالمقطم .

(٢) أبلى : اجتهد فى فتحها .

على اقْتِحَامِ صُفوفِ الأعْداءِ والنَّيْلِ[1] مِنْهُم... وكانَ هذا أوَّلَ امْتِحَانٍ له فى الجهادِ وقد أدَّاهُ بنجَاحٍ مُنْقَطِعِ النَّظِير...

ثُمَّ جاءَ الامْتِحَانُ الثَّانى، وهو فَتْحُ مِصرَ.. فقد اسْتَطاعَ عَمْرُو ابن العَاصِ بَجيْشِهِ الضَّئيل الْعَددِ، أنْ يَهْزِمَ الرُّومَ، وكانَ (لِعُقْبَةَ) دوْرٌ مَلْحوظٌ فى هذَا الْفَتْحِ...

لَم تَكُنْ صلةُ القَرابَة بين عَمْرِو بن العاصِ وَعُقْبَةَ بن نافِعٍ هِيَ الدَّافع الذى حَدَا[2] بِعَمْرٍو إلى أن يَخْتَارَ (عُقبةَ) لِلاشْتراكِ فى هَذَيْنِ الفَتْحينِ المهمَّينِ.. وإنما كَانتْ مَهَارَةُ (عقبةَ) الحربيَّةُ هى الأساسُ الذى بَنَى عليه عَمْرٌو ثِقَتَهُ فى عُقْبَةَ، وتَفْضِيلَه على منْ عَداه من أهلِهِ الأقْربينَ.

(١) النَّيْل : إدراك ما يريده منهم .
(٢) حَدَا : ساق .

المناقشة

١ فى أىِّ بيئةٍ، وعلى أى أرضٍ نَشَأَ عُقْبَةُ ؟

٢ لماذا سُمِّى عُقْبةُ بهذا الاسمِ ؟

٣ «وُلِدَ الطفلُ والصِّراعُ يومئذٍ على أشُدِّه بَيْنَ النبى ﷺ وبين قريش. وبعد ميلادِه بسنةٍ هَاجَرَ عليه الصلاةُ والسلامُ من مكةَ إلى المدينة؛ لِيَتَحاشَى أذى المشركين؛ ولِيَفْتَحَ صَفْحَةً جديدةً للإسلامِ فى بُقْعَةٍ أخْرى من أراضى الجزيرةِ العربيةِ».

(أ) هات معنى (يتحاشى) ومضاد (أشُدِّه)

وجمع (أُخْرى) فى جملٍ من إنشائك.

(ب) لماذا هَاجرَ النَّبِىُّ عليه الصلاةُ والسلامُ من مكة إلى المدينَةِ ؟

(جـ) ما أول كلمة طرقت سمع (عقبة) وهو صغير؟ ولماذا؟

٤ تحدث عن موقف النبى ﷺ مع خصومه يومَ فتحِ مكةَ وعلى أى شىءٍ يدل ؟

٥ وضح دور (عمرو بن العاص) فى تربيةِ (عقبة) تربية نضاليَّةً.

C M Y K

٦ (أبْلَى (عُقْبَةُ) فى فتح الشام بلاءً – حسنًا – وأظهر مقدرةً خارقةً فى اقتحام صفوفِ الأعداءِ والنَّيْلِ منهم، وكان هذا أولَ امتحانٍ له فى الجهادِ، وقد أدَّاه بنجاح منقطع النظير).

(أ) ما مرادف (أبْلَى) ؟ وما مضاد (خارقة) ؟

وما المراد بقوله (مُنْقَطِعِ النظير) ؟

(ب) ما الذى دفع (عَمْرَو بْنَ العاص)؛ لاختيار (عقبةَ) لفتح الشام ومصر ؟

(جـ) أثمرت تربيةُ (عمرِو بْنِ العاص) (لعقبةَ) ثمرتَها المرجوةَ فى فتح الشام ومصر. وضح ذلك.

٧ ضع علامة (✓) أمام التعليل الصحيح فيما يأتى:

أظهر (عقبة) تفوقا ملحوظا فى ساحات القتال:

١ – لأنه محب لسفك الدماء. ( )

٢ – ليحمى ثروتَه ويدافعَ عَن قومه. ( )

٣ – ليحقق شهرةً واسعةً بين فرسان العرب. ( )

٤ – لإيمانه بالله، وحبه الجهادَ فى سبيله. ( )

٨ أظهر (عقبةُ) فى فتح الشام مَقْدِرَةً خارقةً.

أظهر (عقبةُ) فى فتح الشام مَقْدِرَةً عظيمةً.

أى التعبيرين أجمل ؟ ولماذا ؟

C M Y K

٢

عُقبةُ فِي طريقِهِ إلى بَرْقَة

ذَات يَوْمٍ وَقَفَ الفَاتحُ الْعَرَبِيُّ عَمْرو بنُ العاص على شَاطِئِ البَحْرِ المتوسِّطِ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، بَعْدَ أَن أَتَمَّ فَتْحَهَا، وَأجْلَى عَنْها الرُّومَ، يُرسِلُ نَظَرَاتٍ بَعيدةً هُنا وهُناكَ على الأمواجِ المتَلاطِمَةِ التى لا تَهْدَأُ ولا تَسْتَقِرُّ.

لَم يَكُن مَنْظَرُ الأَمْواجِ وَرَوْعَةُ (١) البَحْرِ هُمَا ما يَشْغَلُ بالَ (٢) الفَاتِح العربيِّ، وإِنَّما كَانَ يشْغَله معنًى كبير. إِنَّه قد انْتَصر على الرُّومِ فى الشّام، وانتَصَر علَيْهِمْ أيضًا فى مِصْر.... وَارْتَفَعَتْ رايةُ الإِسْلاَمِ تُرَفْرِفُ على المِنْطَقةِ كُلِّها، ودَخَلَ النَّاسُ فى دينِ اللهِ أفواجًا، ولكنَّ حُدودَ مِصْرَ من جِهَةِ الغَرْبِ بحاجةٍ إلى الأمَانِ ؛ حتَّى لا يُفَكِّرَ الرومُ فى غَزْو مِصْرَ من هَذِه النَّاحِيَة.

كَانَ يَقِفُ بِجوَارِ (عَمْرٍو) فى هذهِ اللَّحْظَةِ ابنُ خَالتِهِ، ورَفيقُهُ فى حُروبِه ضِدَّ الرُّوم بالشَّام وَمِصْرَ، البطَلُ المسْلِمُ (عقبةُ بنُ نافعٍ).. كان عقبةُ شابّا فى الثانيةِ والعشرين من عُمْرِه، يَعْشَقُ

(١) الروعة : الإعجاب بمنظر البحر .
(٢) باله : قلبه وفكره .

الجِهادَ فى سَبيلِ اللهِ، وَيرى مُتْعَتَهُ الكُبرى فى خَوْضِ[1] المَعارِكِ تَحْتَ رايةِ الإِسْلامِ... كَمَا كان أبوهُ (نافعُ بْنُ عبد القَيسِ) بطلاً من أبطالِ الفُتُوحِ الإِسْلامِيَّة.

التَفَتَ (عَمْرُو بنُ العاص) إلى (عُقْبة) وقالَ لَهُ :

– يا (عُقبةُ)... إِنَّنى اخْتَرْتُك لِمُهِمَّةٍ سيكونُ لَكَ بِها شأْنٌ عظيم.. وستكونُ أولَ خُطوةٍ فى فَتْحِ إفريقيَّةَ وإِجلاءِ الرُّومِ عَنْهَا إلى الأَبَد[2]...

رَدَّ (عقبةُ)، والحماسةُ تَنْبِضُ[3] فى كَلِماتِه :

– ما شِئْتَ يا أبَا عَبْدِ اللهِ... ماذا تُريدُ مِنِّى ؟

قال له (عَمْرٌو) :

أُريدُك أن تَذْهَبَ فى سَرِيَّةٍ[4] صَغِيرةٍ إلى بَرْقَةَ، وتَسْتَطلِعَ أحْوَالَ أهلِهَا... فَإِذَا كانتْ مُطَمْئِنَةً أسِيرُ إِلَيْها بِجَيْشٍ من خِيارِ الجُنود، وَأقومُ بفَتْحِها، وأنْشُرُ فيها دِينَ الإِسْلامِ.

قالَ عُقْبَةُ :

– أمْرُكَ يا (أبا عَبْدِ اللهِ).... مَتى أُسافِرُ إلى بَرْقَةَ ؟

(١) خوضها : دخولها .
(٢) إلى الأبد : نهائيا .
(٣) تنبض : تتحرك .
(٤) السرية : من خمسة جنود إلى أربعمائة .

C M Y K

أجابَ (عَمْرُو) :

– غدًا إن شَاءَ اللهُ.

عـنـدَمـا أَذَّنَ المؤذِّنُ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ فى اليَوْمِ التَّالى، وأدَّى المسْلِمُونَ الصَّلاةَ، كان عُقْبَةُ بنُ نـافـعٍ وعـددٌ صغـيرٌ من المجَاهِدينَ فى طَرِيقِهِمْ إلى بَرْقَة.. وَبَعْدَ مَسيرةِ أيامٍ قَليلةٍ وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَنَزَلُوا ضُيُوفاً على بَعْضِ القَبائِلِ الْبَربَرِيَّةِ.... ورَاحُوا يَتَجَوَّلُون هُنَا وهُناكَ ؛ حتَّى تعرَّفوا أحوال البِلاَدِ.. وما يَشْغَلُ بالَ أهْلِهَا.. وكيفَ يَعيشُونَ تَحْتَ الحُكْمِ البِيزَنْطِيِّ، وَرَأْيهمْ فى مَسَاوِئِ هذَا الْحُكْم. ولماذَا يتذَمَّرونَ (١) مِنْهُ ؟

عَرَفَ عقبةُ من خِلاَلِ جَوْلاَتِه بين أَهَالِى برْقَةَ أنَّ اسْتِيَاءَهُمْ من الحكمِ البيزنطيِّ يرجِعُ إلى كَثْرَةِ الضَّرائبِ المفروضَةِ عَلَيْهِمْ، وَقِلَّةِ الأجُورِ التى يَتَقَاضَوْنَها، وعَدَمِ وجُودِ قَوانِينَ تَكْفُلُ (٢) لَهُمْ حياةً آمنـةً مستقـرةً، إِذْ أَنَّ بَعْضَ القَبَـائـلِ تُغيرُ عَلَى البَعْضِ الآخَرِ، وتَنْهَبُ ما لَدَيْها من أموالٍ وَمتَاعٍ (٣)، عِلاَوةً على أنَّ

(١) يتذمرون : يغضبون .
(٢) تكفل : تضمن .
(٣) المتاع : كل ما ينتفع به ويرغب فى اقتنائه كالطعام وأثاث البيت وغيرهما .

C M Y K

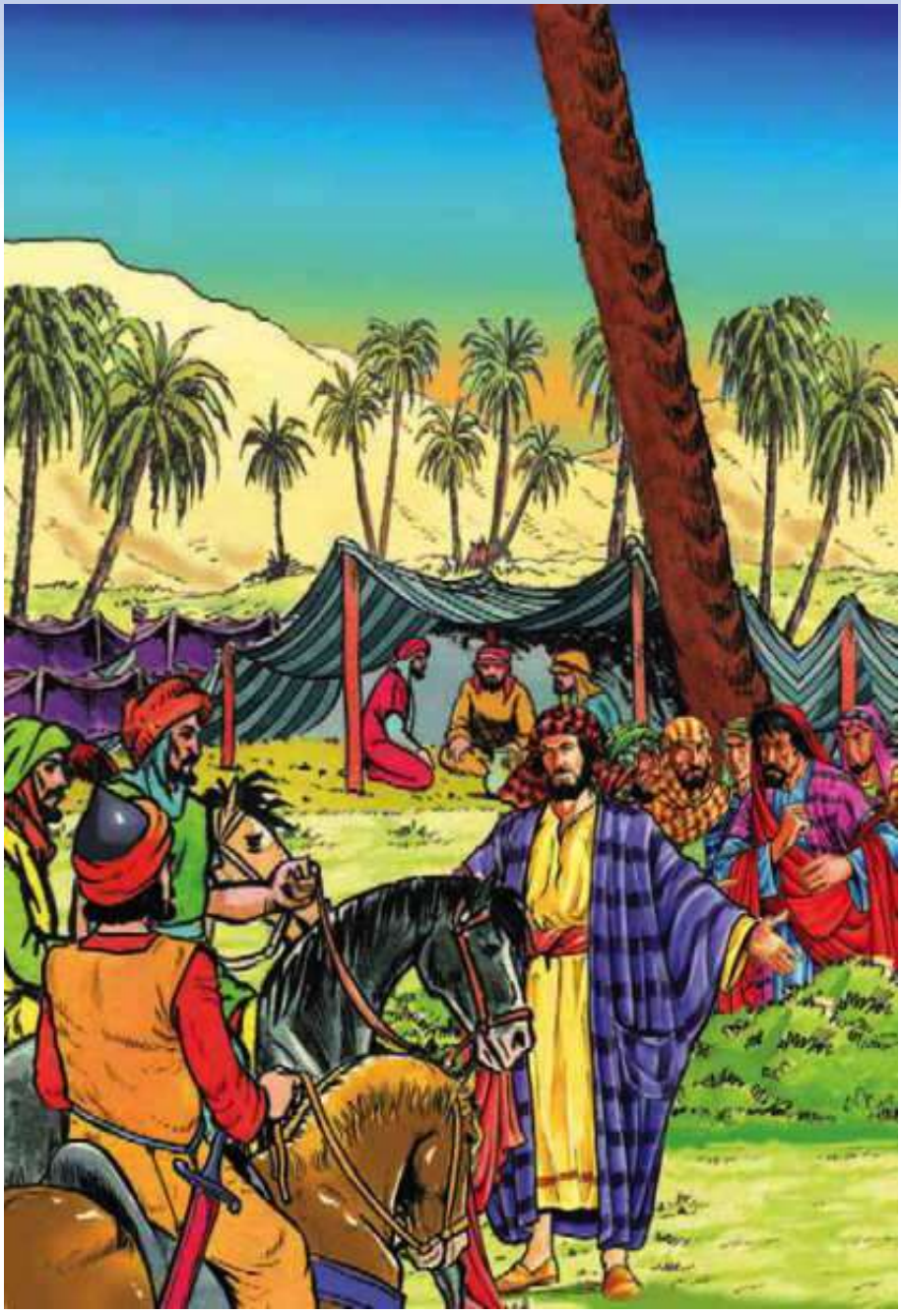

وبعدَ مسيرةِ أيامٍ قليلة وصلوا إليها، ونزلوا ضيوفاً على بعضِ القبائلِ البربريَّةِ .

عدداً من القَبَائِلِ تمرَّدَ على الحُكْمِ البِيزَنْطِيِّ، وحاولَ حُكَّامُ الرُّومِ إِخْضَاعَهُمْ بِالقُوَّةِ، فشبَّتْ[1] بين الفَرِيقَيْنِ مَعَارِكُ ذَهَبَ فيها كثيرٌ من الضَّحايَا.

(١) شبت : اشتعلت .

C M Y K

المناقشة

١ ما الَّذى كانَ يَشْغلُ فكرَ عمرو بنِ العاص بعد أن أتم فتح مصر؟

٢ «ياعُقْبَةُ إننى اخترتك لمهمةٍ سيكون لك بها شَأْنٌ عظيمٌ، وستكون أول خطْوة فى فتح إفْريقية، وإجلاء الروم عنها إلى الأبَدِ. رَدَّ عقبةُ والحماسة تَنْبِضُ فى كلماتهِ: ماشِئْت يا أبَا عبد الله» .

(أ) ضع معنى كل من «الأبد» و «تنبض» فى جملة من تعبيرك.

(ب) ما المهمة التى اختار (عمرُو بنُ العاص) عقبةَ لها؟

(جـ) لماذا كان أهل برقة يكرهون الحكم البيزنطى؟

٣ «وعلى الأمواج المتلاطمةِ التى لاتهدأ ولاتستقرُّ».

(أ) لِمَ وُصِفَتْ الأمواجُ بالمتلاطمة؟

(ب) ماذا أفاد العطف فى قوله: «لاتهدأ ولاتستقر»؟

٤ علام يدل دخولُ سَريَّةِ عقبةَ بنِ نافع برقَة بسهولة؟

٥ قال عقبةُ رَدّاً على عَمرِو بن العاص:

« ماشئت يا أبا عبد الله».

ضع ردّاً من عندك يُؤَدِّى المعنى فى كلمتين.

C M Y K

٣
رسالة "عُقبة" إلى عمرٍو

كَتَبَ عُقْبَةُ إلى (عَمْرٍو) بما تَجَمَّع لَدَيْهِ من مَعْلوماتٍ عَنْ أحوالِ الْبَرْبَرِ والرُّوم ... قالَ فى خِطَابِه لِعَمْرو :

– إننى تَبَيَّنْتُ مِنْ خِلاَلِ اخْتِلاَطِى بأهْلِ هذه البِلاَدِ ، أنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الرُّومَ ، ويَمْقُتون(١) الحكم البيزنْطِىَّ ... لأنَّ الحُكَّامَ الرُّومَ فَرَضُوا عَلَيهِمْ ضرائِبَ بَاهِظَةً(٢) ، وكَلَّفُوا المُوَظَّفِينَ أنْ يقُومُوا بِتَحْصِيلِ الضَّرائِبِ بالْغِلْظَةِ والقسْوةِ.... حتَّى ولو بَاعَ البَرْبَرُ أَوْلادَهُمْ فى سُوق الرقِيق(٣)، وفاءً(٤) لهذهِ الضَّرائِب..

كما أنَّ البَربَر الذينَ يَسْتَأجِرُهُمُ الرُّومُ لِلْعَمَل فى قُصُورِهِمْ أو فى مَزارِعِهِمْ لا يتقاضَوْنَ إلاَّ أجْرًا ضئيلاً ، لاَ يتَناسَبُ ومَا يَبذُلُونَهُ مِن جَهْد ... بل لاَ يكادُ يكْفى احْتِياجاتِهِم الضَّرورية.. وَإلى جَانبِ ذَلِكَ فإنَّ القَبائِلَ - ولو أنَّها بَرْبَريةٌ - لا تُحِسُّ

(١) يمقتون : يبغضون .
(٢) باهظة : شاقة .
(٣) الرقيق : العبيد .
(٤) وفاء : أداء .

الأمْنَ، ولا تَشْعُرُ بالاسْتِقْرَارِ ... لأنَّ الرُّومَ لم يَحْكُمُوا البِلادَ بقانونٍ يَحْمِى الأَرْوَاحَ والأَمْوالَ، وَيُنَظِّمُ وَسائِلَ التَّعامُلِ بَيْنَ النَّاسِ ... وإنَّما جَعَلُوا كلَّ هَمِّهِمْ تَحْصيلَ الضَّرائب واسْتِعْبَادَ البَرْبرِ ..

ومِمَّا يَحْفِزُ(١) على التَّعْجِيلِ بِفَتْحِ هذه البِلادِ فَضْلاً عن الأَسْبابِ السَّابِقَةِ ـ أنَّ أهْلَ بَرْقَةَ(٢) ، وعَدَدُهُمْ كَبيرٌ ، يمْتازونَ بالخُلُقِ الطَّيبِ، والنَّفْسِ السَّمْحة، وينظُرونَ إلى الإِسْلاَمِ ـ من خِلاَلِ ما سَمِعُوا عنه ـ على أنه الْمُنْقِذُ الوَحيدُ لَهُمْ من سَيطَرَةِ الرُّومِ ... ولقَدْ عَاهدنِى زُعَماءُ بَرقَة عَلى دخُولِ الإِسلاَم... وَوعدُونى بأنَّهُمْ سَيُعْلِنُونَ إِسْلامَهُمْ فى أولِ لَحْظةٍ تَطأُ(٣) فيها أقدامُ الجَيْشِ الإِسلاَمِىِّ أرضَ مَدينَتِهِمْ... فحبَّذا(٤) لو عَجَّلْتَ بالزَّحْفِ على هَذِهِ البِلاَدِ ؛ حتى يَنْصُرَكَ اللهُ على الرومِ هُنَا ، كما نَصَرَكَ عَلَيْهِمْ فى الشَّامِ ومصْرَ ...

ما كادَ خِطَابُ عُقْبَةَ يَصِلُ إلى عَمْرٍو ؛ حتَّى جهَّز عمروٌ جيشًا مُكَوَّنًا من بِضْعَةِ (٥) آلاف مُقاتِلٍ . وانْطلَقَ إلى بَرْقَةَ ، وهناكَ

(١) يحفز : يدفع .
(٢) برقة : منطقة فى ليبيا .
(٣) تطأ : تنزل أو تمشى .
(٤) حبذا : تذكر للاستحسان .
(٥) البِضْعُ : العدد من الثلاث إلى التسع .

C M Y K

استقبله أهْلُها أرْوَع اسْتِقْبَال ، ورحَّبُوا به أبلغ تَرْحِيبٍ ، ورغِبُوا فى دُخُولِ دِين الإِسْلاَمِ . أما مَنِ امْتَنَعَ مِنْهُم فَقَدْ رضُوا بِدَفْعِ جِزْيَةٍ(١) سَنويةٍ قَدْرُها ثَلاَثَةَ عَشرَ ألفَ دينارٍ .

كانتْ القَبائلُ البَرْبَرِيةُ تَرَى فى قُدومِ الفَاتِحِ العَربِيِّ عَمْرِو بن العَاصِ وجَيْشِهِ بَشائِرَ الفَجْرِ الجَدِيدِ الذى سَيُطِلُّ عَلَيْهِمْ بِنُورِ العَدالةِ ، ويُزِيلُ ظلاَمَ الاستِعْبَادِ والاسْتِبْدَادِ (٢) الذى عَاشُوا فيه قرونًا (٣) عَدِيدَةً تحت الحُكْمِ البيزنطىِّ .

(١) الجزية : الضريبة التى يدفعها الذين امتنعوا عن الدخول فى الإسلام من أهل البلاد التى فتحها المسلمون مقابل حياة آمنة تحت لواء الحكم الإسلامى. وهى أحد خيارات ثلاثة للأعداء أولها: الدخول فى الإسلام، وثانيها: الجزية، وثالثها: الحرب.

(٢) الاستبداد : الظلم وهو الانفراد بالأمر .

(٣) قرون : جمع قرن ، والقرن : مائة عام .

المناقشة

١ كيف كان الرومُ يعاملون أهل البلاد ؟

٢ لماذا لم تشعر القبائلُ البربريةُ بالأمنِ فى ظلِّ حكم الروم ؟

٣ ما الذى عَجَّل بفتح الإسلام لبرقة ؟

٤ « كانت القبائلُ البربريَّةُ تَرَى فى قُدُومِ الفاتح العَرَبىِّ عَمْرِو بْنِ العاصِ وَجَيْشه بَشَائِرِ الْفَجرِ الجَدِيد الذى سَيُطلُّ عليهم بنور العَدَالةِ ويُزيلُ ظَلاَمَ الاسْتِعْبَادِ والاستبداد الذى عاشُوا فيه قرونًا عديدةً » .

(أ) مامرادف « بشائر » ؟ وما مضاد « الاستبداد »؟ وما المراد بقوله : « بشائر الفجر الجديد » ؟

(ب) لم استبشرت القبائلُ البربرية بقدوم عمرو إليهم؟

(جـ) تحدث عن استقبال أهل برقة لعمرو وجيشه .

٥ عَلاَمَ يَدُلُّ امتناعُ بعض البربر عن الدخول فى الإسلام؟ وماموقف عمرو بْنِ العاص منهم ؟

٦ «فإن القبائل – ولو أنها بربريَّةٌ – لاتُحِسُّ بالأمن »

ما فائدة الجملة الاعتراضية فى العبارة السابقة؟

٧ ما الذى تميز به أهلُ برقةَ على كثرةِ عددِهِمْ ؟

٤

الزَّحفُ عَلى طرابُلسَ (١)

لَمْ يَكُنْ هَدَفُ عَمْرٍو هُوَ الاستيلاء على بَرْقَةَ وحدَها ، وإنّما كَانَتْ مَطَامِحُهُ (٢) تمتدُّ إلى فَتْحِ هذهِ البِلادِ ؛ حتى يصلَ إلى إفْرِيقِيَّةَ ، وينشرَ تعاليمَ الإسلامِ فيها ....

واسْمُ إفْرِيقِيَّةَ فى ذَلِكَ الزمنِ كانَ يُطلَقُ على القُطْرِ التُّونُسىِّ اليومَ ... لذلِكَ كانتْ مُهمَّةُ الجَيش الإسلامىِّ مُهِمَّةً صَعْبةً؛ لأَنَّهُ سيجتازُ (٣) مساحاتٍ واسعةً من الأرْض التى يُقيم فيها البربرُ والرومُ، وهمْ معروفونَ بالشَّجاعة فى الحرُوبِ ، وعَدَمِ الاسْتِسْلاَمِ إلا مُرْغَمين (٤) .

كان عَمْرٌو يعلَمُ كلَّ هذَا ... ولكنَّه لطُولِ تَمَرُّسِهِ (٥) بالحرُوبِ، وَلِكَثْرَةِ المعارِكِ التى خاضَها وانْتَصَرَ فِيها ، كانَ لا يَخْشَى اقْتِحَامَ الأهْوَالِ (٦) ، ولا يَهَابُ (٧) مُلاقَاةَ الشدائِدِ ..

(١) طرابلس : مرفأ على البحر المتوسط وإحدى عاصمتى ليبيا .
(٢) مطامحه : ما تتطلع إليه نفسه .
(٣) سيجتاز : سيقطع .
(٤) مرغمين : مهانين .
(٥) تمرسه : خبرته .
(٦) الأهوال : الشدائد ، المفرد : هول .
(٧) يهاب : يخاف .

أمـرَ بالزَّحْـفِ على مَدينـةِ طَرَابُلْسَ ، وكانت مدينةً ذاتَ أسْوَارٍ عاليةٍ ، وحُصُونٍ مَنيعةٍ (١) ، مما يَجْعَلُ الاستِيـلاءَ عليهـا أمْـرًا صَعْبًا ...

وكانَ أهْلُ طَرَابُلسَ قد عَلِمُوا بما حَدَثَ فى بَرْقَةَ ، فتحصَّنُوا دَاخِلَ مَـدِينَتـهِمْ وَحاصَـرَهُـمْ عَمْـرٌو بالجَيْشِ لِمُـدَّةِ شَهْرٍ دُونَ أن يَسْتَطِيعَ دُخُولَ المَدِينةِ .

ثم حَدَثَ شيءٌ لم يتوقَّعْهُ أهلُ طَرابُلْسَ ، انحَسَر (٢) الماءُ عن الشَّاطِئِ فى أيَّامِ الجَزْرِ (٣)، وأصْبَحَ دُخولُ المَدينةِ مَيْسُورًا (٤) من جِهَةِ الشَّاطِئِ ، بعدَ جفافِهِ ، وإمْكَانِ السَّيْرِ عليه .

تدفَّقَ (٥) الجيشُ الإسْلاَمِيُّ على المَدِينة من جِهَةِ الشَّاطِئِ ، وما لَبث أن اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وأوْقَع (٦) بأهْلِها أقْصَى هزيمةٍ ؛ حتَّى إنَّ عـددًا كـبـيراً مـنـهُـمْ فَرَّ فى السُّـفـن التِّجاريَّةِ الرَّاسيَةِ على الشَّاطِئِ. وبَعْدَ أنْ سَقَطَتْ طَرَابُلْسُ فى يَدِ المُسْلِمينَ بَنَوْا فيها

(١) منيعة : تمتنع على من يحاول دخولها .
(٢) انحسر الماء : ارتد إلى الوراء حتى ظهرت الأرض .
(٣) الجزر : ارتداد الماء عن الشاطئ .
(٤) ميسورا : سهلا .
(٥) تدفق : اندفع فى قوة .
(٦) أوقع : أنزل .

مَسْجِدًا سَمَّوْهُ مَسْجِدَ عَمْرِو ، ويُقَالُ : إنَّ مَسْجِدَ « أحمدَ القره ما نلى » بُنِىَ على أنْقاضِه.

لَمْ يكْتَفِ عَمْرٌو بالسَّيْطَرةِ (١) على بَرْقةَ وطَرَابُلُسَ ... وإنَّما أرادَ السَّيطَرَةَ على القَبائل المقِيمةِ فى دَاخِل الصحراء أيْضًا ؛ حتى لاَ تَهُبَّ (٢) منها الهَجْماتُ على المسْلِمين فى المدِينَتَيْنِ الكَبيرتين .

(١) السيطرة : الإشراف عليها ، أو تعهد أحوالها .

(٢) لا تهب : لا تكون موضعا للهجمات .

المناقشة

١ كانت مُهِمَّةُ الجيش الإسلامِيِّ فى فتح إفريقيَّة مُهِمَّةً صَعْبَةً. فلِماذا؟

٢ «كان (عَمْرٌو) يَعْلَمُ كلَّ هذا، ولكنه لِطول تمرُّسِهِ بالحرب ولكثرة المعارك التى خَاضَها، وانْتَصر فيها، كان لايَخْشَى اقتحامَ الأهوالِ ولايَهَابُ مُلاَقَاةَ الشَّدَائدِ » .

(أ) هات مرادف «تمرس»، ومضاد «يهاب» فى جملتين من إنشائك .

(ب) لماذا لم يخف عَمْرٌو مِن الشدائد التى كانت ستقابله فى فتح إفريقِيَّة ؟

(جـ) كيف استطاع القائدُ الإسلامى فتح طَرَابُلْسَ ؟ وما الذى سَهَّل له هذا الفتح ؟

٣ لماذا أراد عمرٌو السيطرة على القبائل المقيمة فى داخل الصحراء بعد فتح طرابلس ؟

٤ ماذا حدث لمسجد (عمرو) فى طرابلسَ ؟

C M Y K

٥

عُقبةُ يَتولَّى القيادَة

أصْدَرَ عَمْرُو بنُ العاص أمْرًا بتكليف عُقْبةَ بْنِ نافعٍ أن يسيرَ فى سَرِيَّةٍ لِفَتْحِ فَزَّانَ (١) ، وكانَ هذَا أوّلَ عَمَلٍ قِيادِىٍّ يتولاَّهُ عُقْبَةُ. إذ أَنَّهُ بِرَغْمِ براعَتِهِ فى القِتَالِ ، ومَهارَتِهِ فى الحَرْبِ ، وشَجاعَتِهِ فى مُنَازَلَةِ (٢) الأعْداءِ ، ظَلَّ جُنْدِيّا عاديّا فى صُفوفِ المُجَاهدين .

انطلقَ عقبةُ إلى فَزَّان يَصْهِلُ(٣) جوادُهُ فى مُقَدِّمَةِ الجَيْشِ ، وَيَلْمَعُ سَيْفُهُ تحت أشِعّةِ الضحى ، ويَنْبَعثُ من قَلْبِه نورٌ يُضىءُ له طَرِيق النَّصر ..

وعندما أصْبحَتْ فَزَّانُ منه على مَرْمى البَصَرِ أَلْقَى فى الجُنُودِ كَلِمَةً مُشْرقةً بنورِ العقيدةِ والإيمانِ حثَّهُمْ فيها على قِتال أعداءِ اللهِ. فمن أسلَمَ منهم نَجَا، ومن ظلَّ على وَثَنِيَّتِهِ (٤) فإنَّ عليه أنْ يَدفَعَ ضريبةَ الدفاعِ؛ ليحيا حياة يأمن فيها على نفسه وأهله

(١) فزان : مجموعة الواحات الكبرى الواقعة فى صحراء إفريقيا الوسطى .
(٢) منازلة الأعداء : مقابلتهم وجها لوجه لقتالهم .
(٣) الصهيل : صوت الفرس .
(٤) الوثنية : مذهب عبادة التماثيل .

وماله، ويمارس طقوسه الدينية بحرية واطمئنان، فى ظل سماحة الإسلام وعدالة المسلمين.

كانتِ القبائِلُ مُنْشَقَّةً (١) على نفسِها ، بَعْضُها يَرى مُدَافَعَة المسْلِمين ؛ حتّى لا يُجْرَحَ كبرياؤُها بالاسْتِسْلاَمِ، والبعضُ الآخَرُ يَرَى تَقْديمَ الطاعةِ للمسلمينَ ؛ تخلُّصًا من الحكم البيزنطىِّ المستبدِّ، وحُبًّا فى العدَالَةِ التى يتصف بهَا المسلمون ، ويَنْشُرونَها فى أرجاءِ (٢) الأرض .

وبرغْم انْقسامِ القبائِلِ فى الرَّأى، فإنّها لم تسْتَسلم ، ودارتْ مَعارِكُ عنيفةٌ بين البرْبَرِ والمسلمين ، أظهرَ فيها (عُقبةُ) من البَسالَةِ (٣) والجرأة والإقدامِ ما جعَلَ البَرْبَرَ يَرْهَبون صَوْلَتَه(٤) ، ويفرُّون أمامَه ، ويرفعونَ رَايةَ التَّسليم ، ويدفَعُون ضريبةَ الدفاعِ التى فَرضَها عليهم عقبةُ ، وهى ثلاثمائة بَعيرٍ .

أرْسَلَ عقبةُ إلى عمْرو يُبَلِّغهُ نبأ انتِصارِهِ، فاغتَبَطَ (٥) أيَّما اغْتِباطٍ؛ لأنه كانَ يَخْشَى أن تَفْشَل هذه الحملةُ فيقضىَ البربرُ والرُّومُ على المسلمينَ من دَاخلِ الصحراءِ ، وينتهز خُصُومُ عمرٍو هذه الفُرْصَةَ فَيُنَدِّدُون(٦) بسياسَتِهِ ، وبأنَّه أرسلَ عُقبةَ لا لكفاءَتِه، وإنَّما لِقَرابَته لَهُ ...

(١) منشقة : مختلفة .
(٢) أرجاء : مفرده (الرجا) وهو الناحية .
(٣) البسالة : الشجاعة .
(٤) صولته : وثوبه .
(٥) اغتبط : سر أو فرح .
(٦) يندون : يشهرون .

C M Y K

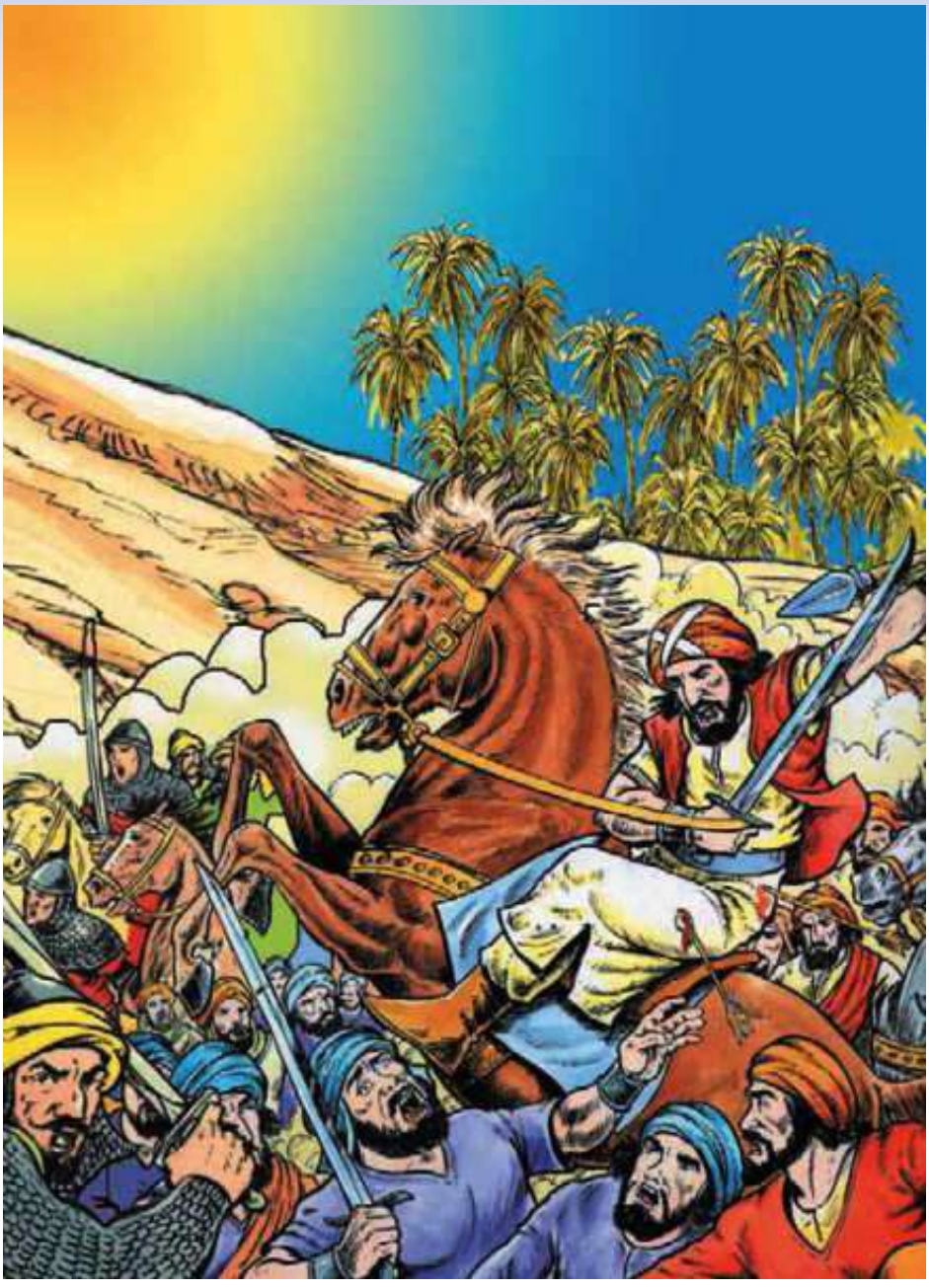

وبرغم انقسامِ القبائل فى الرأى فإنها لم تستسلم، ودارتْ معاركُ عنيفةٌ بين البربرِ والمسلمين

إلا أنَّ عقبةَ مهَّدَ بهذا النَّصْرِ لِعمرو أن يُسْنِدَ إليه القيادةَ فى حَمَلاتٍ أخْطَرَ وَأَشَدَّ ، كما أثبتَ جدَارتَه فى قيادة الجَيش .

فى نَفْس الوقت الذى أرسلَ فيه (عَمرٌو) (عقبةَ) لِفَتْحِ فَزَّان أرسل (بُسْر [١] بنَ أرْطَأةَ) لِفَتْحِ وَدَّانَ ، وأكَّدَ (بُسْرٌ) بِدَوْرِهِ أنه جديرٌ بالقيادةِ ، إذ انتصرَ على هذه القبائل وغَنم منها مغانِم[٢] كثيرة .

و لم تَقِفْ فتوحاتُ عَمْرٍو عند هذا الحدِّ ، وإنِّما أرسلَ جيشًا إلى صِبرَاتَةَ فَفَتحها ، ثم فَتحَ مدينة « شَارُوس » بجبل نَفُوسَة بعد اشتباكات دَامية .

وجَدَ عَمْرٌو الفرصةَ سانحةً [٣] أمامَهُ لفتح جميع المدائِن ؛ حتى إفْرِيقِيَّةَ ، ولكنَّه بحاجةٍ إلى مَدَدٍ من الجُيوش المدرَّبة ؛ لأن عددَ الرُّوم والبربر فى هذه الأَماكِنِ يُعَدُّ بمئاتِ الآلاف .

بعث عمرٌو إلى الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ رِسالة استأذنَهُ فى فَتح إفْريقية ، وانتظر ردَّ ابن الخَطَّاب عليه فى هذا الشَّأنِ .

(١) بسر بن أرطأة : ولد قبل النبى بسنتين ويكنى أبا عبد الرحمن ، وكان أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب ليعاون عمرو بن العاص فى فتح مصر . كان من شيعة معاوية بن أبى سفيان .

(٢) المغانم : ما يؤخذ فى الحرب بالقوة .. مفردها « مغنم » .

(٣) سانحة : عارضة .

لم يَكُنْ من رَأى عُمَر التوغُّلُ [1] فى إفريقيَّةَ، وإنَّما كان رأيُهُ الانتظارَ بضعَ سنواتٍ، حتى يزيدَ عددُ الجيش الإسْلاَميِّ ، فيستطيعَ أن يقهر هذه القبائِلَ المنتَشرَةَ فى مساحاتٍ واسعةٍ من الصَّحْراءِ. رَدَّ الخليفةُ على عَمْرٍو بالرَّفْضِ وعدَمِ الموافقَةِ .

(١)التوغل : الدخول .

المناقشة

١ ما أول عمل قيادىٍّ تولاه عقبةُ فى الجيش الإسلامىِّ ؟

٢ كان المسلمون يعاملون أهل البلاد التى يفتحونها معاملةً حسنةً. وضح ذلك .

٣ تحدثْ عن موقف القبائل من الفتح الإسلامى .

٤ « وَدَارَتْ مَعَارِكُ عَنِيفَةٌ بَيْنَ (البَرْبَرِ) والمسلمين أظهَر فيها عُقْبةُ من البَسَالَة والجرْأَةِ والإِقْدَامِ، ماجَعَل (البربر) يَرهبُون صَوْلَتَهُ ويفِرُّون أمَامَه ويَرْفَعُونَ رَايَة التَّسْليم، ويدفعون له ضريبة الدفاع التى فَرضَها عليهم عُقْبَةُ ».

(أ) مامرادف « البسالة » ؟ وما مضاد « صولة » ؟ وما المراد من قوله « يرفعون راية التسليم » ؟

(ب) أرهب عقبة البربر بشجاعته وجرأته . وضح .

(جـ) ماذا تعرف عن (بسر بن أَرْطَأَةَ) ؟

(د) تحدث عن موقف (عُمَرَ بن الخطاب) مما أراده عمرُو بنُ العاص فى فتح إفريقية ؟

C M Y K

٦ عُقبةُ والدَّعوةُ الإسْلاميَّة

إزاءَ (١) رفْض الخليفةِ غَزْوَ إفْريقيةَ لم يجِدْ عَمْرُو بْنُ العاص بُـدّا(٢) مـن العَـوْدَةِ إلى مِصْـرَ، ولكـنَّه أمَـر عُقبةَ بأن يُقيمَ فى (بَرْقَةَ)؛ ليُعلِّمَ المسلمين فيها أمورَ دينهِم، وينشُرَ الإِسْلاَمَ بينَ الذين مازَالُوا على وثنيَّتِهِمْ ، ويُحْيِى شَعَائرَ (٣) الدِّينِ فى هذه المدينة العريقة (٤) ...

كانتِ السَّنَواتُ التى أمضاها عقبةُ بنُ نافعٍ فِى برقة بعد عَوْدَةِ عَمْرِو بنِ العاصِ سنواتِ تعليمٍ وتَثْقِيفٍ وَخِبْرَةٍ وتجاربَ .

استَطاعَ عُقبةُ أن يُعلِّمَ البربرَ قواعدَ الدّينِ الإِسْلاَمِىِّ وشعائِرَه، وأن يَكتَسِبَ فى نَفْسِ الوقتِ خِبرةً واسعةً وعميقةً بكلِّ أحْوالِ البيئةِ البربريةِ .

(١) إزاء : مقابل .
(٢) بدا : مفرا .
(٣) الشعائر : كل ما جعل علما لطاعة الله .
(٤) العريقة : العظيمة أو الكريمة الأصيلة .

C M Y K

استمرَّتْ إقامَةُ عقبةَ فى بَرْقَةَ أربعَ سنوات نشر خِلالَهَا تعَاليمَ الإِسْلاَمِ ؛ حتى أَسْلَمَ على يَدَيْهِ كثيرٌ من البربر ، وتعلَّموا اللغَةَ العربيَّةَ ، لُغَةَ القرآنِ ؛ حَتى يَسْتَطِيعُوا أن يُرَتِّلُوهُ (١) ويتفهَّموا مَعَانِيَهُ.

وظلَّ عقبةُ من سنة ٢٣ هـ حتى سنة ٢٧ هـ رائدًا (٢) دِينِيًّا فى بَرْقَةَ ، وأَلِفَ (٣) الحياةَ بين البَرْبَرِ ، وأحبَّهُمْ وأحبُّوهُ و لم يرتدَّ واحدٌ منهم عن دينِ الإِسْلامِ .

أما أهل طَرابُلُسَ فإنَّهم ما كادُوا يَعْلَمُون أنَّ عمرَو بنَ العاصِ غادَرَ البلادَ ، وعاد إلى مِصْرَ ؛ حتَّى نَقَضُوا (٤) عهودَهُمْ ، وارتدَّ عدَدٌ كبيرٌ منهم بعدَ إِسْلاَمِهِمْ ، ورفضوا أنْ يدفَعُوا ضريبةَ الدفاعِ التى فَرضَها عليهم عَمْرٌو.

كانتْ الأَحوالُ قد تَغَيَّرتْ فى الدَّوْلَةِ الإِسْلاميةِ . إذ اغْتيلَ (٥) عُمرُ بنُ الخَطَّابِ ، وتولَّى عثمانُ بنُ عفَّانَ الخلافَةَ مكانَه .

(١) يرتلونه : يجودون تلاوته .
(٢) الرائد : من يتقدم الناس ويعرفهم ما يريدون .
(٣) ألِفَ : أحب .
(٤) نقضوا : عملوا غير ما التزموا به .
(٥) اغتيل : قتل غدرا .

أجرى (عثمانُ) بعضَ التغييرات فى الدَّولةِ ، فَعزلَ عمرَو بنَ العاص من وِلايَةِ مِصْرَ ، وعيَّنَ مكانَهُ عبْدَ الله بْنَ سعدِ بنِ أبى السَّرْح [١] .

أراد عبدُ الله بنُ سعدٍ أن يُثْبِتَ للخليفةِ أنه جديرٌ بهذه الولايةِ، وأنَّهُ يستطيع أن يواصلَ الفتوحاتِ التى بدأها سَلَفُهُ عمرو بنُ العاص ، فكتَب إِليه يستأذِنُه فى فتح إِفريقيةَ .

تـروَّى [٢] عثمانُ بـنُ عَفَّانَ قبل أن يَرُدَّ على عبد الله بنِ سعدٍ، واستشـارَ فى هذا الأمْـر كِبـارَ الصَّحابـة والتَّابعـينَ ، فأيَّدوه فى مواصَـلَةِ الفتوحـات ، وشجعـوه على إِتمـام ما بـدأه عمرُ بنُ الخطابِ .

(١) عبد الله بن سعد بن أبى السرح أخو عثمان بن عفان من الرضاع . كان على ميمنة عمرو بن العاص فى فتحه لمصر ، ولى مصر مكان عمرو سنة ٢٥ هـ .

(٢) تروَّى : فكر فى الأمر أو تأنَّى .

المناقشة

١ فى أى شىءٍ قضى عقبةُ السنوات التى أقامها فى برقة بعد عودة عمرو إلى مصر ؟

٢ « وَظَلَّ عُقْبَةُ رَائدًا دينيّا فى بَرْقَةَ، وَأَلِفَ الْحَياةَ بَيْنَ الْبَربَر، وَأَحَبَّهُمْ وَأَحَبُّوهُ، وَلَم يَرْتَدَّ وَاحِدٌ منهم عن دين الإسلام ».

(أ) ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة لكل كلمة فى العمود (أ) مما بين القوسين فى العمود (ب).

(أ)	(ب)
١ – مرادف « ألف »	(فهم – أحب – زامل)
٢ – مضاد « يرتد »	(يثبت – يقبل – يهجم)
٣ – المراد بقوله «رائدا دينيا»	(يعرِّفُهم أمور دينهم – يحبُّ الحياة بينهم – يؤمهم فى الصلاة)

(ب) ماموقف أهل برقة من عقبة بن نافع ؟ وما الدور الذى قام به بينهم ؟

٣ ماموقف أهل طَرَابُلُسَ بعد أن غادرهم عمرُو بنُ العاص عائدًا إلى مصر ؟

٤ مَنْ وَلِىَ أَمْرَ مصر بعد عمرو بن العاص ؟ وفى خلافة مَنْ ؟

٥ ماموقف الوالى الجديد من فتح إفريقية ؟

C M Y K

٧

جَيشُ العَبادِلةِ

أمَرَ عثمانُ بْن عفان بأن يُنادَى فى الناس بالجهادِ، فتجمَّعَ عددٌ كبيرٌ من المسلمينَ بلغَ عشرةَ آلافِ فارس، وقد سمِّى هذا الجيشُ «جيشَ العبادِلةِ» لأنه كانَ يضمُّ الكثيرَ ممن يَبْدَأ اسْمُهُمْ بعبدِ الله، مثلِ : عبدالله بن عباس، وعبدِالله بن عُمَرَ، وعبدِالله بن أبى بكرٍ، وعبدِ الله بن عَمْرو بن العاص.

وتضمَّنَ ردُّ الخليفة تكليفَ عبدِ الله بن سعدٍ فَتْحَ تُونسَ، وجَعَل له خُمْسَ الخمس مِنَ الغنائم(١).

ثم إنَّ عثمانَ أمدَّ الجيشَ بألفِ بعيرٍ من عِنْدِه؛ لِتحْمِلَ الضُّعفاءَ. وما إن وصَلَ هذا الجيشُ إلى مصْرَ؛ حتى لقيه أهلُها بالتَّرحابِ، وسُرُّوا لِمقْدَمه وانضمَّ إليه من حَشدَهمْ عبدُ الله بنُ سعدٍ لهذه الغزوة وبلغَ عددُ المجاهدين حوالى سبعين ألفَ مقاتلٍ.

كانَ (عقبةُ) فى انتِظار جيش العَبادلَة عندما وصل إلى بَرْقَةَ، وكانَ مَعهُ عددٌ غيرُ قليلٍ من زُعماءِ البَرْبَر الذين أسلموا وَحَسُنَ إسلامُهُمْ ، وبعد أن استَراحَ الجيشُ من مَشَقَّةِ السفر، انفرد عقبةُ بعبدِ الله بن سعدٍ وقالَ له.

(١) الغنائم : ما يغنمه الجيش المنتصر من الأعداء.

C M Y K

إن المعركةَ هذه المرَّة لنْ تكونَ مَعَ القبائل مُنْفَردةً، وإنما ستكونُ مع مَلكٍ طاغيةٍ (١) يَبْسُطُ سلطانَهُ ونُفُوذهُ (٢) من طَرَابُلُسَ إلى طَنْجَةَ(٣) ، وتدينُ(٤) له القبائلُ بالطَّاعَةِ ؛ لأنَّهُ خلَّصَهُم من حُكْم الرُّوم، وأعلنَ انفصالَه عن البلاط البيزَنْطِيِّ .

قال عبدُ الله :

– وماذا لَدَيهِ من الجُنْدِ والعَتادِ (٥) ؟

أَجَابَه (عقبةُ) :

– لَدَيْه الكَثِيرُ .... لأنَّ جميع القبائِل البربريَّةِ من طَرَابُلُسَ إلى طَنْجَةَ تأتمرُ بأَمْرِهِ (٦) ، كما أنَّ عددًا كبيرًا من الرُّوم يُقدِّمون له الولاءَ (٧).

قال عبد الله :

– ما اسْمُ هذا الملكِ (يا عقبةُ) ؟

ردَّ عقبةُ :

(١) طاغية : ظالم .
(٢) نفوذه : سلطانه وقوته .
(٣) طنجة : مرفأ على مضيق جبل طارق فى شمال المغرب .
(٤) تدين : تخضع له .
(٥) عتاد الحرب : الأسلحة والدواب وغيرها . والجمع (أعتدة) .
(٦) تأتمر بأمره : تخضع لأمره ، وتنفذه .
(٧) الولاء : الطاعة .

C M Y K

– اسمُهُ جُريجوريوس ، ولكنَّ أهْلَ هذه البلادِ يُطلقونَ عليه جُرْجيرَ .

قال عبد الله :

– بِحُكْم خِبْرتِكَ بأَحوالِ هذه البلاد يا (عقبةُ) ... ماذا تَرى ؟

رَد عقبةُ :

– أنْ تَقْتَصِرَ فى هذه الغزوة على الرُّقْعَةِ التى يبسُطُ عليها (جرجيرُ) نفوذَهُ .. لأنَّنا إذا قُمنا بِحَملاتٍ جانبيةٍ فإن البربَر والرُّوم سَيَنْقَضُّون (١) علينا من كل ناحيةٍ .

قال عبدُ الله :

– إذَنْ أنت تَرى أن نُؤجِّلَ غَزوَ طرابُلْسَ الآنَ ؛ لأنها أُولى المدُن التى سنلقاها فى طَريقنا .

ردَّ (عقبةُ) :

– نَعَمْ ..ولْنَتَّجِهْ بالجيش إلى « سُبَيْطِلَةَ » (٢) ، فهى المدينة التى اتَّخذها الطاغيةُ مقرّاً لممارسةِ ظُلمِه وطغيانِهِ .

(١) ينقضون علينا : يهجمون علينا أو يندفعون إلينا فى سرعة .

(٢) سبيطلة : عاصمة الدولة الرومية البربرية . وهى تقع وسط بلاد البربر فى الجنوب الغربى لتونس .

المناقشة

١ « إن المعركة هذه المرة لن تكون مع القبائل منفردة، وإنما ستكون مع مـلِكٍ طاغية، يَبْسُطُ سُلْطَانَه ونُفُوذَه من طرابلس إلى طنجة، وتدينُ له القبائل بالطاعةِ؛ لأنّه خَلَّصهُم من حكمِ الرُّوم، وأعلنَ انْفِصَاله عن البلاط البيزنطيِّ »

(أ) هات مرادف «نفوذ»، ومضاد «تدين» فى جملتين من تعبيرك.

(ب) من قائل هذه العبارة ؟ ولمن قالها ؟

(جـ) لم سُمِّى الجيش الذى أمدَّ به عثمان عبد الله بن سعد بجيش العبادلة ؟

٢ لَخِّصْ بأسلوبك الحوارَ الذى دار بين عبد الله بن سعد و(عقبة بن نافِع) بشأن الملك « جُرجير »

٣ لعثمان بن عفان – رضى الله عنه – موقفٌ فى تجهيز جيش العبادلة. ماهذا الموقف؟ وعلى أى شىء يدل ؟

٤ ماالعوامل التى ساعدت على قوة (جُرجير) وبسط نفوذه ؟

٥ (فإن البربر والروم سَيَنْقَضُّونَ علينا)

(فإن البربر والروم سيهاجموننا)

أى التعبيرين أقوى ؟ ولماذا ؟

C M Y K

٨

مَوقعَة سُبَيْطِلَة

انْفَضَّ اجتماعُ القائدين الكبيرين . وفى الصّباحِ نُودِىَ فى الجيش بالتَّحَرُّكِ ، وكانَ الأدلاَّءُ (١) من رجال البَرْبَر الخبيرينَ بمسالكَ (٢) ودروب (٣) الصَّحراء يسيرونَ أمامَ الجَيْشِ متَّجهينَ إلى سُبَيْطِلةَ .

كانت أنباءُ الغَزْوِ العربىِّ قد وَصَلَتْ إلى مَسامِعِ (جُرْجير)، فجَمَع ضُبَّاطَهُ وجنُودَهُ ، وخطَبَ فِيهم أن يجعلوا نهايةَ العَربِ على أيديهمْ فى هذه المعركَةِ .

وأكثرُ من هذا أعلن (جُرجير) فى الرُّومِ والبَرْبَرِ أنَّ منْ يقتل أمِيرَ المسْلمينَ ، فسوفَ يُزَوِّجُه ابنَتَهُ ، ويعطيه ألفَ دينار، تحمَّسَ الضُّباطُ والجنودُ، وَوَدَّ (٤) كلٌّ منهُمْ لو يظْفُر (٥) بابنةِ الملك، وألفِ دِينَارٍ. سَمِعَ عبدُ اللهِ بنُ سعد بالجائِزةِ التى خصَّصَها (جُرجير)

(١) الأدلاء : المرشدون . مفرده : دليل .
(٢) المسالك : الطرق ، أو المنافذ . مفرده : مسلك .
(٣) دروب الصحراء : الطرق الضيقة فى الجبال : مفرده : درب .
(٤) ود : أحب .
(٥) يظفر : يفوز .

لمنْ يقومُ بقتلهِ ، فَضَحِكَ سُخريَةً واستهزاءً، وأعلنَ فى الجَيْش الإِسلامِيِّ أنَّ من يقتل (جُرجير) فسوفَ يُعطيهِ ألفَ دينارٍ ، ويزوِّجه ابنةَ هذا المِلكِ المستبدِّ .

أصبحتْ ابنةُ (جُرجير) وألْفُ الدِّينارِ مَثارَ (١) تَعْلِيق الجنُود والضُّباطِ فى الجَيْشَيْنِ المُتَأهِّبَيْنِ (٢) للْقِتَالِ .

ولكن المسلمين كانُوا يَرمُون إلى غَايَةٍ أبعدَ، كانوا يَرَوْنَ أنَّ قَتْلَ (جُرْجِيرَ) ، وأسْرَ ابنَتِه أمرٌ يُمَهِّدُ الطريقَ لتثبيتِ (٣) سُلْطانِ الإِسْلامِ من طَرابُلسَ حتى طَنْجَةَ ..

دارتْ اشتباكاتٌ بين الفريقين لم تُسْفِر (٤) عن نتيجة حاسِمَةٍ، واستَبْطأ الخليفةُ عثمانُ النَّصْرَ فأرسلَ مددًا بقيادة عبد الله بن الزُّبَيْر(٥) لم يَلْبَثْ (٦) أن وصلَ وانضمَّ إلى جيش عبد الله بن سعدٍ .

(١) مثار : موضع .
(٢) المتأهبين : المستعدين .
(٣) لتثبيت : لاستقرار وتمكين .
(٤) تسفر : تظهر أو تكشف .
(٥) عبد الله بن الزبير : ابن أسماء بنت أبى بكر الصديق عرف منذ صغره بشجاعته وجرأته وقد اشترك فى غزوة القسطنطينية التى جهزها معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٧٠ م ، ولما قتل الحسين بن على كان عبد الله بالحجاز ، ثم بويع بالخلافة ، ولما توفى يزيد بن معاوية دانت له أكثر البلاد الإسلامية ، ما عدا الشام ، ثارت ضده الفتن ، وبخاصة فى الكوفة ، واشتغل بقتال الأمويين ، حاصره الحجاج الثقفى بمكة ستة أشهر ، ثم قُتِل ومُثّل به .
(٦) لم يلبث : المراد : لم يتأخر .

عَقدَ عبدُ الله بنُ سعدٍ ، وعبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ اجتماعًا لوضْعِ خُطَّةِ الغزو .. قال عبد الله بنُ سعدٍ لزميلِهِ فى الكفاحِ :

– إن جَيشَ (جُرجير) كبيرٌ ـ وأخْشَى أن نَدْخُلَ معركةً فاصلةً، فَتَتغَلَّبَ علينا الكثرةُ .

رَدَّ عليه عَبدُ الله بنُ الزُّبَيْر :

– مادامَ الفارقُ بيننا وَبَيْنهُمْ كبيرًا فى العَدَدِ والعَتادِ (١) ، فيجبُ أن نُدَبِّرَ حيلةً لقَهْرِهِمْ وخاصَّة أن مدينةَ (سبيطلة) ذاتُ أسوارٍ عاليةٍ ، ولا يمكنُ اقتحامُها بِسُهُولةٍ .

قال ابنُ سعد :

– ألديك فكرةٌ مُعَيَّنَةٌ ؟

ردَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ :

– نعم .... علينَا أن نُجَهِّزَ مجموعةً من الفُرسانِ بعيدًا عن مواقِعِ الاشتباكاتِ ؛ حتى إذا ما انتَهتِ الاشْتِبَاكاتُ عندَ الظُّهْرِ، وأرادَ الأعداءُ أن يعودُوا إلى مَوَاقِعِهم ، تَنْقَضُّ (٢) عَلَيْهِمْ هذه المجمُوعةُ ، فَتُبيد بَعْضَهُمْ ، وتأسِرُ البَعْضَ الآخَرَ .

(١) العتاد : الأسلحة .
(٢) تنقض : تهجم عليهم بقوة .

وافَقَ ابنُ سعدٍ على هذهِ الخُطَّةِ .... وفى اليوْمِ التَّالِى بدأت الاشْتِباكاتُ ، وعندَما انتهتْ عند الظُّهْرِ ، كما جَرَتِ العادَةُ فى الأَيَّامِ السابِقَةِ ، وعِنْدَمَا تَرَاجَعَ مقاتِلُو الرُّومِ والبربرِ ، فَاجَأَتْهُمْ المجموعةُ التى تَمَّ اختيارُهَا بعنايةٍ من أبطالِ المسلمينَ ، واقْتَحَمَتْ مدينةَ (سُبيطِلة) وقتلَتْ (جُرجير) وأسَرَتْ ابْنتهُ . وانْتَهتْ أخْطرُ قُوَّةٍ كانتْ تُناوِئُ (١) المسلمينَ فى هذه البلادِ.

لم تُطق ابنةُ (جُرجير) الأسْرَ ، فألقَتْ بنَفْسِها من فَوْق الجَمَلِ الذى تَرْكَبُه ، ولقِيتْ مَصْرَعها (٢) فى الحَالِ .

وما إنْ سَرَى (٣) نَبأ مَصْرع (جُرْجِيرَ) ، وسَبْى ابْنتِهِ ، وسُقُوطِ (سبيطلة) فى أيدى المسلمين ، حتى سارعَ زُعَمَاءُ القبائِل يطلبُون الصلحَ ، واتَّفقوا على دفْع ثلاثمائة قنطارٍ من الذَّهبِ.

كانت المَغَانِمُ التى أحرزَها(٤) المسلمون كثيرةً ، مما جعل (عبد الله بن سعدٍ) يطلبُ من الخَليفةِ عثمانَ بنِ عفانَ إرسالَ سُفُنٍ لنقلِ هذه المغانِمِ .. وفعلاً وصَلَتِ السُّفُنُ، وتمَّ شحنُ المغانم، وعادَ الجيشُ الإِسْلامى إلى مِصْرَ عن طَرِيقِ البَرِّ. وقد

(١) تناوئ : تعادى .
(٢) مصرعها : مقتلها .
(٣) سرى النبأ : انتشر وانتقل من مكان إلى مكان .
(٤) أحرزها : نالها ، واستولى عليها .

قام قَادة المسلمين بتقسيم المغانِمِ وتَوْزيعِها على المجاهدينَ . وكان نَصِيبُ الفارسِ[١] فى هذه الغزوةِ ثَلاثَةَ آلافِ دِينارٍ ، ونصيبُ الراجل[٢] أَلْفَ دينار .

عادَ عقبةُ إلى مصْرَ مع الجيش المنتَصر بعد أن أمضَى ستَّ سنواتٍ يجاهِدُ فى سبيلِ نَشْرِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ ، ويقودُ بَعْضَ الْحَمَلاَتِ الحربيَّةِ حِينًا ، ويشترك فى بَعْضِها حينًا آخر، وليس لديه لَذَّةٌ تعادلُ لَذَّةَ الجهادِ ، وقد كانتِ العودةُ سنة ٢٨ هـ .

مرتْ ثلاثَ عشرةَ سنةً بَعْدَ هذا التاريخِ وقَعَتْ خلالَها أحداثٌ كِبَارٌ فى الدَّوْلةِ الإسْلاَمِيَّة ، إذْ نَشِبَت الفتنةُ باغْتِيالِ عُثْمانَ بنِ عفانَ ، وشُغل المسلمونَ عن مواصَلةِ فتُوحاتِهِمْ بالاضْطراباتِ الدَّاخليةِ .

عَكَفَ[٣] عقبةُ خِلالَ السَّنواتِ من ٢٨ هـ حتى ٤٠ هـ على العِبادةِ والتَّفَقُّهِ[٤] فى الدِّين ، وآثر[٥] العُزْلَةَ بعيدًا عن الفِتَنِ

(١) الفارس : المحارب على ظهور الخيل . الجمع : فوارس وفرسان .
(٢) الراجل : من يمشى على رجليه .
(٣) عكف : أقام .
(٤) التفقه : العلم بأصول الدين وأحكامه .
(٥) آثر : فَضَّل واختار .

C M Y K

والقَلاقِلِ التى اشْتَعَلَتْ فى الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ ؛ حتى سَكَنَ لهيبُها سنة ٤٠ هـ بتوْلية مُعاوية بْنِ أبى سُفْيَانَ الخِلاَفَةَ (١).

كانَ مِنْ بين الإِجراءات التَّنْظِيمية التى قَام بها مُعاوِيَةُ فى الدَّوْلَةِ ، إعادةُ عمرِو بن العاص وَاليًا على مِصْرَ . ومع أنَّ عَمرًا كان قد بلغ من الكِبَر عِتِيّاً (٢) ، إلا أنَّ حُبَّ الفُتوحاتِ كان شُعْلَةً مُتَوَقِّدَةً فى نَفْسِهِ .

(١) معاوية بن أبى سفيان : أسلم يوم فتح مكة ، وهو أول خليفة أموى اتخذ دمشق عاصمة له . توسعت الدولة الإسلامية فى زمنه شرقا فى خراسان وما وراء النهر ، وفى شرق إفريقية ، وحمل لواء الجهاد ضد الروم ، فأخذت جيوشه تغير عليهم برا وبحرا .

(٢) بلغ من الكبر عتيا : أى دخل مرحلة الشيخوخة .

المناقشة

١ « انْفَضَّ اجتماعُ القائدَيْن الكبيرين، وفى الصباح نودى فى الجيش بالتحرك وكان الأدِلاَّءُ من رجال البربر الخبيرِين بمسالك ودروب الصحراءِ يسيرون أمامَ الجيش مُتَّجِهين إلى سبيطلة »

(أ) هات مفرد « الأدلاء » فى جملة من تعبيرك ومرادف «المسالك» فى جملة أخرى، واذكر المقصود من « يسيرون أمام الجيش ».

(ب) تحدث عن موقف الملك « جرجير » عندما وصل إليه نبأ الغزو العربى لبلاده .

(جـ) ما الجائزةُ التى خَصَّصَها « جرجير » لمن يقتل أمير جيش المسلمين ؟

٢ ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة فيما يأتى:-

(أ) قابل عبد الله بن سعد نبأ الجائزة التى خصصها «جُرْجير» لمن يقتله: (بالفرح والسرور – بالسخرية والاستهزاء – بالاستفسار عنها) .

(ب) كان المسلمون يَرَوْن أن قتل (جُرجير) وأسر ابنته

C M Y K

أمر: (يهدد فتح البلاد – يمهد الطريق لاستقرارهم – يقضى على آمالهم) .

(جـ) أصبحت ابنةُ (جُرجير) وألف الدينار – الجائزة:

(موضع تعليق الضباط والجنود فى الجيش – موضع التسابق للحصول عليهما) .

٣ ما الخطة التى وضعها عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير لقتال (جُرجير) وجيشه ؟

٤ ما أثر هزيمة جرجير وجيشه فى زعماء القبائل الأخرى ؟

٥ أكمل مافى العمود (أ) بما يناسبه من العمود (ب)

(أ)	(ب)
– عاد عقبة إلى مصر	عاكفا على العبادة والتفقه فى الدين .
– أمضى عقبة ست سنوات	عن الفتن والقلاقل التى اشتعلت فى الدولة الإسلامية.
– أقام عقبة خلال السنوات الأخيرة	مع الجيش المنتصر .
– آثر عقبة العزلة بعيدا...	يجاهد فى نشر الدعوة الإسلامية بعد جهاد ست سنوات .

٩

عُقبةُ يستأنفُ الفتحَ

صَمَّمَ عَمْرٌو - بعدَ عَوْدتهِ إلى وِلايةِ مِصْرَ - عَلَى اسْتِئنَافِ الفتوحاتِ التى بَدَأهَا فى بَرْقة سنة ٢٢ هـ . ورأى أن خَيْرَ مَنْ يَقُومُ بهذه الفُتوحاتِ هو عقبةُ بنُ نافع ؛ لأنه أصْبَحَ ماهرًا فى فُنُونِ الحربِ من جِهَة ، وخَبيرًا بِشُئُونِ القبائِلِ البرْبَرِيةِ والرُّومِ من جِهَةٍ أُخْرَى ، لإقَامَتِهِ هُنَاكَ سِتَّ سنواتٍ كَامِلةً .

استَدْعَى عَمْرٌو ابْنَ خالتِهِ عُقْبَة ، وَطلَبَ إليه أنْ يَتَوَلَّى قيادةَ الجَيْشِ الذى سيَتِمُّ إرسالُهُ إلى برْقَةَ لمواصَلَةِ الفُتوحاتِ فى تلك الجِهَاتِ ، وتَحْصِيل ضريبةِ الدفاعِ مِمَّنْ رفَضُوا دَفْعَها بعد عوْدَةِ المسلمينَ، وانشغَالِهِمْ طَوالَ تلك السَّنواتِ بأحْوَالِهِم الدَّاخِلِيَّةِ .

لم يُخْفِ عُقْبةُ - وهو البَطلُ الشُّجاعُ الذى تَشرَّبَ (١) قلبُهُ حُبَّ الجِهَادِ - اغتباطَهُ (٢) بِهَذا التَّكْلِيفِ ، إذْ أشْرَقَتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ، وانْبَعَثَتْ فى نَفسِهِ خَوَاطرُ عن الماضى الْقَرِيبِ، إبَّانَ (٣) إقَامَتِهِ

(١) تشربه : أى شربه ، أو تمكن من قلبه واستولى عليه .
(٢) اغتباطه : فرحه وسروره .
(٣) إبان : أثناء .

فى تِلْكَ الجِهَاتِ ، وقيَامِهِ بِنَشرِ تَعَالِيمِ الدِّينِ الحَنِيفِ بين البَرْبَرِ ، وفتحِهِ بَعْضَ المدنِ المهمة ، ودُخُولِ أهْلِها فى الإِسْلاَمِ .

إن الفُرصَةَ وَاتَتْهُ (١) من جَديدٍ لإِشْبَاعِ رَغْبَتِهِ فى خَوْضِ المعارِكِ ضِدَّ أعداء الله ، وتوسيع رُقْعَةِ الدَّولَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ ، وجَلْبِ المغانِم إليها ، وإنْقَاذِ القَبائِلِ البربريَّة من مخَالِبِ (٢) الوثَنِيَّةِ والجَهالَةِ .

بَدَأ عقبةُ أعمالَهُ الحربيَّةَ فى هذه المرَّة سنة ٤١ هـ . بالتوجُّهِ إلى قَبيلةِ (لَواتَةَ) ، فأعلنوا الطَّاعَة من جَديدٍ ، واعْتَنَقُوا الإِسْلامَ ، راضينَ مُغْتَبطينَ .

ثم اتَّجَهَ إلى بَرْقَةَ فوجد أهْلَها ـ كما تَرَكَهُمْ منذ ثَلاثَ عشرةَ سنةً ـ مَا زالوا على دِينِ الإِسْلاَمِ ، يُقيمون شَعَائرَه بانْتِظَامٍ ، ويتمَسَّكُونَ بأصولِهِ وقَوَاعِدِه .

أقامَ عقبةُ فى بَرْقَةَ يَستَكْمل رِسالتَهُ الأولى فى نَشْرِ الدَّعْوةِ الإِسْلاَمية بين القبائِلِ ؛ حتى استجاب لهُ عددٌ كبيرٌ منهم ، وأصبحَ المسْلمون فى هذه القبائِلِ يُقَدَّرون بالآلافِ .

(١) واته : طاوعته ، أو أتته .
(٢) مخالب : المفرد مخلب ، وهو الظفر للحيوان والطائر المفترس .

وبَعْدَ حَوالَىْ سنَتَيْن ، أى فى شوال سنة ٤٣ هـ تُوفِّى عَمْرُو بْنُ العاص ، وحَزنَ عقبةُ لِمَوْتِ ابنِ خالَتِه ، وساورَتْهُ (١) الشُّكوكُ أن معاويةَ بنَ أبى سُفيانَ سَيُرْسِلُ قائدًا آخر مِمَّن أعانوا عَلَى عَلِىٍّ بن أبى طالبٍ ؛ ليَقُومَ بفَتْح إِفْرِيقيةَ .

وَفِعْلا تحقَّقَتْ هذه الشُّكُوكُ ، وأرسلَ الخليفةُ فى سنة ٤٥ هـ مُعاويةَ بنَ حُدَيْج (٢) وَالِى مِصْر فى تلك الفَتْرةِ ، على رأس جيش عُدَّتُه عشرةُ آلافِ مُقَاتِلٍ ؛ لِيَغْزُوَ به هذه البِلادَ . التَقَى ابنُ حُدَيج فَوْرَ وصولِهِ إلى بَرْقَة بعُقْبَةَ بن نافع ، وأعدَّا معاً خُطَّةَ الغَزْوِ . ولَكِنَّ غَزوةَ ابنِ حُدَيْج لم تُحَقِّقْ إلا نَصْرًا ضَئِيلاً إذا قُورِنَ بما أحرزَهُ المسلمونَ فى الغَزَواتِ السَّابقةِ . ثُم عَادَ إلى مِصْرَ، وَمعهَ ما حَقَّقَ منَ الغَنَائِمِ .

(١) ساورته : داخلته .

(٢) معاوية بن حديج : يكنى أبا عبد الرحمن ، غزا الحبشة مع ابن أبى السرح ، وأصيبت عينه هناك ، كان من أبرز القواد الذين ساعدوا معاوية .

المناقشة

١ ما الذى صَمَّمَ عليه عمرُو بنُ العاص بعد عودته إلى وِلاَية مصر ؟

٢ لماذا اختار عمرُو بنُ العاص عقبة بنَ نافِع لتحقيق ما صمم عليه؟

٣ « لم يُخفِ عقبةُ – وهو البطلُ الشجاعُ الذى تشرَّبَ قلبُه حبَّ الجهاد – اغتباطه بهذا التكليفِ؛ إذْ أَشْرَقَتْ ملامِحُ وجهه، وانْبَعَثت فى نفسه خواطر عن الماضى القريب إِبَّان إقامتِه فى تلك الجهاتِ »

(أ) ضع مرادف «إبان»، ومضاد «اغتباط» فى جملتين من إنشائك.

(ب) ما المراد بقوله (تشرب قلبه حب الجهاد) ؟

(جـ) لِمَ اغتبط (عقبة) بتكليف عمرو بن العاص له بمواصلة الفتوحات ؟

(د) كيف بدأ (عقبة) أعماله الحربية فى برقة وغيرها من البلاد ؟

٤ داخل (عقبة) الشكوك بعد موت (عمرو بن العاص) فما هذه الشكوك؟ وهل تحققت ؟ ولماذا ؟

C M Y K

١٠

"عُقبَةُ" يَتجهُ إلى إفريقيَّةَ

ظَلَّ عقبةُ واليًا على بَرْقَةَ حتى سنة ٤٩ هـ وقد زَادَ تَعَلُّقُ البرْبَرِ بِهِ ، لِحُسْنِ مَعَامَلَته لَهُمْ ـ وَرَفع المَظَالِمِ التى فَرَضَها عَلَيْهِمْ سادَةُ الرُّومانِ على مَرِّ السِّنينَ .

وإذْ هُوَ يَقُومُ بِمُهِمَّتِهِ كداعية للإسلام فى هذه المِنْطَقَةِ ، جاءه خطابٌ من الخَليفة يُعْلِمُهُ فيه أنه قد اخْتَارَهُ لِفَتْحِ إفريقيَّةَ ، وأنَّ جيشًا عُدَّتُهُ عشرةُ آلاف مقاتلٍ فى طريقِه إلَيْهِ.

كانَ هذَا الخطابُ فى سنة ٤٩ هـ ، أىْ بعد إقَامتِه ستَّ سَنواتٍ أخرى فى بَرْقَةَ.

وعَلَى الفَوْرِ نَادى عقبةُ فى البَرْبَرِ بالجِهَادِ ، فأقْبَلُوا من مُختَلِفِ القَبائِلِ مُلَبِّينَ دعوته .. وكانَ فرحُهُ عَظيمًا بِخُرُوج البربرِ للْجِهادِ فى سبيلِ اللهِ .

وَصلَ الجيشُ الذى أرْسَله معاويةُ بنُ أبى سفيان إلى برقَةَ، فوجَدَ فى انتظارِهِ جَيْشًا آخر من الْبَرْبَرِ ، مستعدًا لخوضِ المعارِكِ ضدَّ أعداء الإسلام .

CMYK

ولأوَّلِ مرَّةٍ فى تاريخ المعارِكِ الإِسْلاَمِيةِ يَتَكوَّنُ جيشٌ من العَرَب والبَرْبَرِ ، وينطلقُ لِغَايةٍ وَاحدةٍ هِىَ إِعلاءُ كَلِمة الله.

اتَّجَهَ عُقْبَةُ إلى قبيلةِ (وَدَّانَ) ، وهى القبيلةُ التى افْتَتَحَها (بُسْرُ بن أَرْطَأَةَ) سنة ٢٣ هـ ، وارتدت عن الإِسْلاَمِ بعد أن غادر المسلمُونَ تلك الجِهاتِ ..

حاول أهْلُ هذه القبيلةِ مُدَافعةَ المسلمينَ ولكنَّ عقبةَ والمجاهدينَ من حَوْلِهِ هَزَمُوهُمْ فى أوَّل اشتباكٍ ، ثم أسَروا مَلِكَهُم، وعادُوا به إلى مقر القيادةِ الإِسْلامِيَّةِ .

وَقَف مَلِكُ ودَّانَ منكَّسَ (١) الرأسِ أمامَ عُقبةَ يُحاولُ أن يتكلمَ فَتذوب (٢) الكلماتُ على شَفَتيهِ ... وتذكَّرَ فى هذه اللَّحَظَاتِ أنه نَقَضَ عَهْدَه معَ المسلمينَ ، ومنعَ إرْسَالَ ضريبةِ الدفاعِ المقرَّرَةِ عليه، بل بَالَغَ فى عَدَاوَتِهِ للْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ جَنَّدَ أهْلَ قَبيلتِهِ لِمُحارَبَتِهِمْ.

ثمَّ سكَتَ عقبةُ هنيهةً (٣) وقالَ للملِكِ :

(١) منكس الرأس : مطأطئ الرأس .
(٢) تذوب : المراد لا تخرج الكلمات من بين شفتيه .
(٣) هنيهة : القليل من الوقت .

– والآن عليكَ أن تدفَعَ ضريبةَ الدفاعِ الَّتى فرضَها عليكُمْ (بُسْرُ بنُ أَرْطَأةَ) ، وهى ثَلاثُمائةٍ وستون بعيرًا .

أكَّد ملِكُ وَدَّان لِعُقْبَة أَنَّه لَنْ يَعُودَ لمحاربة العَربِ مرَّةً أخرى ، وأنّه سَيَدْفَعُ ضريبةَ الدفاعِ بانتِظَامٍ .

عندئذ أطلق عقبةُ سراحَ مَلِك وَدَّانَ ، وتأهَّبَ (١) للذِّهابِ إلى فَزَّانَ ، وهى تَبْعُد عن قبيلةِ وَدَّانَ بمسيرةِ ثمانيةِ أيَّام ... ولما دَنَا منها عَسْكَر بجيشهِ فى مكانٍ يَبْعُد عنها بستةِ أميالٍ.

ثم أرسَلَ من يَدْعو أهْلَها إلى الإِسْلامِ ، وكانوا قد تَظاهَرُوا بالدُّخولِ فى دين الله يوم انتصرَ عليهمْ عقبة منذُ عِشْرينَ عامًا .

اسْتَجابُوا لِنِداءِ عقبةَ ، وأعلنوا أنَّهم سَيَعْتنقون الدِّينَ الحنيف، ولن يَرْضَوْا به بديلاً إلى الأَبَدِ .

إلا أنَّ ملِكَ (فَزَّانَ) ـ وكانَ رَجُلاً مُترفًا نَاعِمًا يَتَمَتعُ بكل لذَّات الحَضَارَةِ الرُّومانيَّةِ ـ لم يُعْلِنْ رأيَه صراحةً ؛ لأنه كان وَثَنِيّاً لاَ يُؤمنُ بالأدْيان .

(١) تأهب : استعد .

أمر عُقبةُ بإحْضارِ هذا المَلِكِ ماشيًا ، وذلك بـأن تَـحُـول (١) خيُـولُ المسـلـمينَ المنتشرَةُ فى شوارِعِ المَدينة بين المَلِكِ وبين مَوْكِبِهِ؛ حتى يتجرَّدَ من عَظَمَةِ المُلْكِ وفَخْفَخَةِ السُّلْطَانِ.

وَجَد مَلِك فزَّانَ نَفْسَهُ مُرْغمًا على السَّيْرِ على قَدمَيْه ، وهو الرَّجُلُ المترفُ الذى عاشَ حياتَهُ يَتنَقَّلُ على الخُيول المطهَّمة(٢) بين الخَدَم والحَشَم (٣) والجُنْدِ ، فتحَّسرَ لما أصابَهُ ، وكادَ يَسْقُطُ بَيْن الماشِينَ حَوْلَهُ من شدَّةِ الجَهْدِ والإعْيَاء (٤) .

إنَّه لأول مَرَّةٍ فى حياتِهِ تَطَأُ قَدَمَاهُ الشَّوارعَ وَيسيرُ كأىِّ رجل عادىٍّ بلا زينَةٍ فى طريقِه ، أو أُبَّهةٍ (٥) فى مَوْكبه .

عِنْدَما وَصَل هَذَا المَلِكُ إلى خَيْمَة (عقبةَ) وجدَ القائِدَ العربىَّ يجلِسُ وسَطَ جَمْعٍ من ضُبَّاطِهِ وجُنودِه فى تَواضُعٍ، وأخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ (٦) إذْ رأى الرَّجُلَ الذى اهتزَّت الْمِنْطَقَةُ كلُّها لِـمَـقْـدمِهِ ، وارْتَـعـدتْ فرائصُ (٧) الحكَّام رعْبًا مِنْهُ ، يَفْترشُ

(١) تحول : تصرف وتمنع .
(٢) المطهمة : الحسنة المنظر .
(٣) الحشم : حشم الرجل : خدمه أو أهله ، أو جيرانه . الجمع : أحشام .
(٤) الإعياء : شدة التعب .
(٥) أبهة : عظمة .
(٦) الدهشة : الحيرة .
(٧) الفرائص : جمع فريصة : العضلة الصدرية .

الأَرْضَ ، ولا يَبدُو [١] عليه أىُّ مَظْهَرٍ من مَظَاهِرِ الفَخْرِ والخُيلاءِ [٢] .....

تقدمَ ملكُ فَزَّانَ من (عُقبةَ) ، وقد ظَنَّ أنه سيُنزل به أشدَّ العِقَابِ لِرَفْضِهِ دَفْع ضريبةِ الدفاعِ التى كانَتْ مقررةً عليه ، ولقيامِهِ بِمحاربةِ المُسْلِمينَ .

إلا أنه فُوجئ (بِعُقْبَة) القائِدِ المُنْتَصرِ يُطَمْئِنُه ويقولُ له :

– إنَّنا لا نُنَكِّلُ [٣] بالأُسرى ؛ لأنَّ دِينَنا يمنعُنا من ذَلِك ... أما سَبَبُ إحْضَارِكَ بهَذِهِ الهيئةِ [٤] فهو تأديبٌ لَكَ ؛ حتى لا تحاربَ العربَ مرَّةً أُخرى ؛ وحتى تَدْفَعَ ضريبةَ الدفاعِ وهى ثَلاثُمِائَةٍ وستون بعيرًا .

التَقَط ملكُ فَزَّانَ أنفاسَهُ [٥]، وبدأ قلبُه يَدُقُّ دقَّاتِهِ العاديَّةَ بعد أن كانَ مضطربًا يكادُ يمزِّقُ ضلوعَ صَدرِهِ مِن شدَّة خَفقانِهِ[٦] .

(١) يبدو : يظهر .
(٢) الخيلاء : التكبر .
(٣) ننكل : المراد : يعاقبهم بما يروعهم ويردع غيرهم عن الإتيان بمثل أعمالهم .
(٤) الهيئة : الصورة .
(٥) التقط أنفاسه : أى سكن رعبه ، فاستطاع أن يتنفس تنفسا عاديا .
(٦) خفقانه : تحركه واضطرابه .

ثم أطْلقَ عقبةُ سراحَه ، وانطلقَ بعد ذلك إلى القُرَى الواقعةِ فى هذا الإقليم ، فافْتتحها قريةً قريةً ... وقد كان أهْلُها يَكْرَهُون الحُكْمَ البيزنطىَّ ، فسارَعُوا إلى الدُّخُول فى دين الإسْلاَمِ .

كان عقبةُ كلَّما افْتَتَح مدينةً أو قريةً يتركُ بها نَفَرًا من المسلمين يُعلِّمونَ أهْلَها اللغةَ العربيةَ وقواعدَ الدينِ الإسْلاَمِىِّ، وبهذا ازْدَادَ عَدَدُ المسلمين الذين يَعْرِفون لغة دينهمْ فى هذه المَدائِن والقُرَى .

المناقشة

١ لماذا زاد تَعَلُّقُ البربر بعقبة أثناء ولايته على برقة ؟

٢ ماموقف عقبة فى اختيار معاوية له لفتح إفريقية ؟

٣ (وَقَفَ مَلكُ وَدّانَ مُنَكَّسَ الرَّأسِ أمامَ عقبة يحاولُ أن يتكلمَ فتذوبَ الكلمات على شفتيه... وتذكر فى هذه اللحظات ...)

(أ) هات مضاد « منكس » ومفرد « لحظات » فى جملتين من عندك، وبين المقصود من قوله (تذوب الكلمات).

(ب)ما الذى تذكره ملك ودَّان وهو واقف أمام عقبة؟

٤ تأهب – أطلق – بانتظام – محاربة – سراح .

ضع كل كلمة من الكلمات السابقة فى مكانها المناسب فيما يأتى:

(أكد ملك ودان لعقبة أنه لن يعود ..... العرب مرة أخرى

وأنه سيدفع ضريبة الدفاع..... عندئذ ..... (عقبة) ..... ملك ودان و..... للذهاب إلى فزان.

٥ ماموقف أهل فزان من نداء عقبة لهم ؟

٦ لماذا لم يُعْلنْ ملكُ فزان رأيه صراحة؟ وما الحديث الذى دار بينه وبين عقبة ؟

٧ عندما وصل ملك فزان إلى خيمة عقبة أخذته الدهشة. فلماذا ؟

٨ « إننا لاننَكِّلُ بالأَسْرَى؛ لأن دينَنا يَمْنَعُنَا من ذلك... أما سَبَبُ إحْضَارِكَ بهذه الهيئة فَهُوَ تأدِيبٌ لك؛ حتى لاتحارب العرب مرةً أخرى؛ وحتى تدفع ضريبةَ الدفاعِ »

(أ) مامفرد « الأسرى » ؟ وما مرادف « الهيئة » ؟

وما المقصود بقوله (لاننكل بالأسرى) ؟

(ب) من قائل هذه العبارة ؟ ولمن قالها؟ وما المناسبة لها؟

(جـ) لماذا ازداد عدد المسلمين فى المدن التى كان يفتحها عقبة ؟

C M Y K

١١

عَبقَرِيةُ "عُقبَةَ" الحربيَّة

كانَ من الطَّبيعيِّ أنْ يَخْلُدَ (١) عقبةُ إلى الهُـدُوءِ بَعْضَ الوَقْتِ، رَيثَمَا (٢) يستريحُ جَيْشُهُ ، ويُضاعِفُ نشاطَهُ لمواصَلَةِ الفتوحَاتِ.

ولـكـنَّ القـائـدَ العـربـيَّ كـانَ شُعْلَةً من النَّشَاط والعَزْمِ والجَلَد (٣). فما إن تَمَّتْ له السيطرةُ على الجِهَاتِ التى ذكرناها آنِفًا(٤) حتى بَدَأ يتأهَّب لِمَعْرَكةٍ من أخْطرِ المَعَارِكِ الإِسْلاَميَّةِ فى ذلكَ الوقْتِ .

إنَّ أولَ مدينةٍ ستصادِفُه فى الطَّرِيقِ اسمُها (خاوَار) ، وهى تَقَعُ على قِمَّةِ جَبَلٍ شاهِقٍ (٥) من الصَّعْبِ على الجَيْشِ أن يَتسَلَّقَه دونَ أن يَلْحَقَهُ ضررٌ .. كما أنَّ أهلَ هذه المدينةِ يستطيعُون النَّيْلَ (٦) من عدوِّهِم قبل أن يَصِلَ إلى أسْوَارِ مدِينَتِهِمْ.

(١) يخلد : يلجأ ويركن .
(٢) ريثما : مقدار .
(٣) الجلد : القوة .
(٤) آنفا : سابقا .
(٥) شاهق : مرتفع ارتفاعا عظيما . الجمع : شواهق .
(٦) النيل : الانتقام من العدو .

لَكِنْ بالرَّغْمِ من كلِّ هذه المخَاطِرِ فإن (عُقْبَة) اجتاز الطَّريقَ؛ حتى وَصَلَ إلى أسْوَارِ المدينةِ وحاصَرَها شَهْرًا كاملا ... ولَمَّا تبين أنَّ دخولَ المدينةِ من هذا الطَّرِيقِ أمْرٌ مُتَعَذِّر ، تراجَعَ بجيشِه، وسار ثلاثة أيام ، مبتعدًا عن المدينة ؛ حتَّى أمن أهلُهَا، وفَتحُوا أبوَابَ مَدِينَتِهِمْ ، وبَدءُوا يمارسُون (١) حيَاتَهُمْ العاديَّة .

لَمْ يَكُنْ تَراجُعُ (عقبةَ) إلا حِيلةً تَفَتَّقَتْ (٢) عنها عبقريتُهُ(٣) الحربيَّةُ ، إذ أَنَّهُ عَرَفَ مِنَ الأدلاَّءِ أن هُنَاكَ طريقًا آخر إلى هذه المدينةِ تُقيمُ على جَانِبَيْهِ بعضُ القَبَائِل .. وأنه إذا تَمَّ إخْضَاعُ هَذه القبائِلِ فَمِنَ السَّهْلِ دُخُولُ المدينةِ قَبْلَ أن تأخُذَ الأُهْبَةَ للدِّفَاعِ عن نَفْسِهَا .

سارَ (عُقبَةُ) من الطَّريقِ الذى وجَّهه إليهِ الأدلاَّءُ ، وأخْضَعَ فى أثناء مَسِيرتِهِ القبائِلَ التى صادَفَهَا دُون مُقَاوَمَةٍ تُذْكَرُ ...

إلا أنَّه فُوجِئَ بِأمرٍ كادَ يُفْسِدُ عليهِ خُطَّته ، بل يقضى على انْتصَارَاتِهِ جَمِيعًا .

إنَّ هَذَا الطَّريقَ لم يَسْلُكْهُ أحَدٌ من قَبلُ ؛ لأنَّه يَقَعُ فى مَكَانٍ مُقْفِرٍ لا مَاءَ ولا عُشبَ فيه .. فَكلُّ أرْضِهِ صُخُورٌ صَلْدة(٤) ورمال

(١) يمارسون : يزاولون .
(٢) تفتقت : انطلقت .
(٣) عبقريته : براعته وتفوقه .
(٤) صلدة : شديدة ، أو صلبة .

C M Y K

جَافَّةٌ من أجْلِ ذَلك لم يتوطّنْ (١) أحد بِهذَا المكانِ ، بل لَمْ يُحَاوِلْ أحَدٌ أنْ يَسْلُكَ هذا الطَّريقَ .

أما العَدُوُّ الذى لقِيهُ (عقْبةُ) وجيشُهُ فى هذا المكان فهو العَطَشُ .. العطشُ القاتِلُ ، ماذا يَفْعَلُ وقد كادَ العطشُ يُبيدُ(٢) جيشَهُ ، ويوقِفُ الزَّحفَ الإِسْلاَمىَّ فى هذه المِنْطَقَةِ ؟

(١) لم يتوطن : لم يقم به أحد .
(٢) يبيد : يهلك ويقضى .

المناقشة

١ « كَانَ من الطبيعى أن يخلد (عقبة) إلى الهدوء بعض الوقت ريثما يستريح جيشه ويضاعف نشاطه لمواصلة الفتوحات ».

(أ) ضع مرادف كل من «يخلد – ريثما» فى جملة من إنشائك.

(ب) كان عقبة فى حاجة إلى الهدوء بعض الوقت. فلماذا ؟

(جـ) ما الحيلة التى لجأ إليها عقبة لفتح مدينة (خاوار) ؟

٢ ما الذى كاد يفسد على عقبة خطته التى أعدها لفتح مدينة (خاوار) ؟

٣ ما العدو الذى لقيه عقبة وجيشه وهو فى طريقه إلى مدينة (خاوار) ؟

٤ تراجع عقبة لحيلة تفتقت عنها عَبْقَرِيَّتُهُ الحربية. عبر عن هذا المعنى بأسلوبك.

١٢ ماءُ فرسٍ

اتَّجهَ عقبةُ كعادَتِهِ إلى الله ، وقَدْ كانَ مستَجَابَ الدَّعَاء ، كما يُؤَكِّدُ جميع المؤرِّخينَ .. وَصلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وسألَ الله أن يُخْرِجَهُ من هذه المِحْنَةِ .

ما كادَ يفرُغُ منَ الصَّلاةِ حتى لَمَح فَرسَهُ يَنْبُشُ (١) الأرضَ برِجْلَيْهِ ، بَحْثًا عن الماءِ ، من شدَّةِ ما لَحِقَهُ من العَطَشِ ..

وحَدَثَتِ المُعْجِزَةُ .. ظَهَرتْ صخرَةٌ تحْتَ رِجْلَى الفَرَسِ ، أخَذَ يَتفجَّرُ مِنْ حَوْلِهَا الماءُ .

كَبَّرَ (عُقبةُ) ، وكَبَّرَ المسلمونَ ، وأخذَ عددٌ مِنْهُم يُطْفِئُ غُلَّتَه(٢) بِهَذا الماء العَذْبِ ، وفى الحالِ أمَرَهُمْ عقبةُ بحفر سبعين حُفرَةً فى هذه البقعةِ ، لعلَّهُمْ يجدونَ ماء زُلَالاً (٣) ..

حدثَت المُعْجِزَةُ مرَّةً أخرى .. وأخَذَ الماء يتفجَّر من كل حُفْرَةٍ يَحْفُرهَا المسلمون؛ حتى أصْبَحَت البقعةُ كُلُّها تَفِيضُ بالماءِ العَذْبِ.

(١) ينبش : يضرب الأرض ، ويحرك ترابها .
(٢) الغلة : شدة العطش وحرارته .
(٣) الزلال : الماء العذب الصافى البارد .

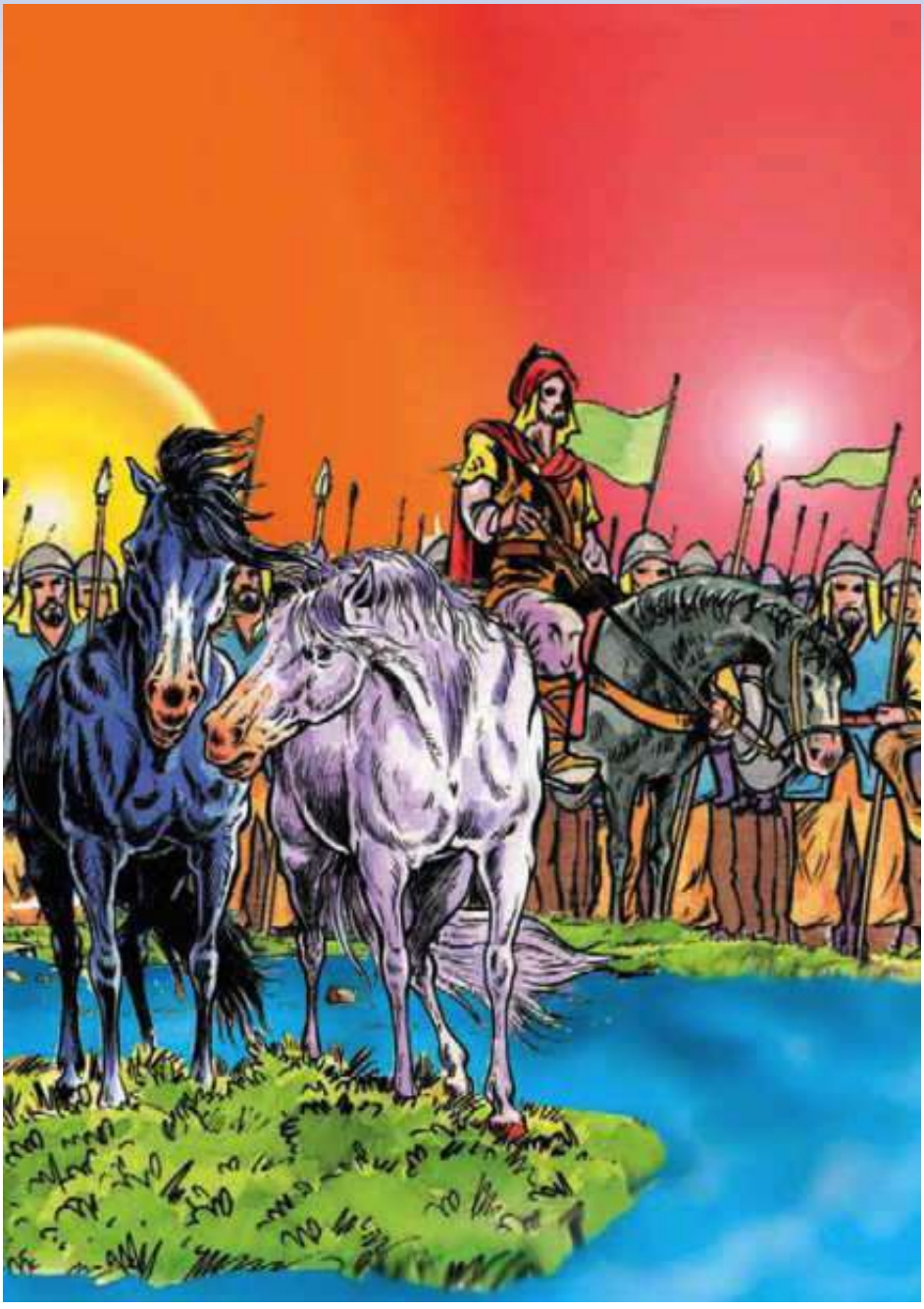

شربَ المسلمونَ حتّى ارتوَوْا، وشَرِبَتْ خيولُهُم حتى ارتَوت هى الأُخْرَى.

شَرِبَ المسلمونَ حتى ارْتَوَوْا ، وشَرِبَت خيولُهُمْ حتى ارْتَوت هى الأخْرى .. وَسُمى هذا المكانُ « ماءَ فرسٍ » تخليدًا لِذِكْرى الماء الذى عَثَرَ عليه فرسُ (عُقبةَ) .

سَمِعَ الْبَرْبَرُ المقِيمون فى الجِهَات القريبة من هذه البُقْعَةِ بقصَّةِ الماءِ ، فأقبلوا من كل حدَب وصوْبٍ (١) يُشَاهِدُونَ المعْجِزَةَ التى حدَثَتْ ، ودخَلَ مُعْظَمُهُمْ دين الإِسْلاَم عن عَقيدةٍ ويقين .

أمَّا (عقبةُ) فإنَّه بَعْدَ أن اسْتَراحَ الجيشُ من الجَهْدِ الذى عانَاهُ أثناءَ العطشِ ، نادَى فى جُنودِه أن انْطَلقُوا إلى (خَاوَارَ)، و لم يَلْبَثُوا أن دخلوها لَيْلاً ، وأهْلُها مُسْتغْرِقونَ فى النَّومِ ، فَأَسَرُوا مَلِكَها وزعماءَها ، واسْتوْلَوْا على ما فِيها مِنْ أمْوالٍ ـ ثم رَجَعُوا دون أن يَفْقدُوا شهيدًا وَاحِدًا .

انْزَعَجَ حُكامُ الولاَيَاتِ البيزنْطِيةِ ، وَتيقنوا أنَّهُمْ سَيَقَعُونَ لا مَحالَة (٢) تَحْتَ سَيْطَرَةِ الجُيُوشِ الإِسْلاَمِيةِ ، كانوا يتراسلون فى تلك الفترة عن الإِجْرَاءَاتِ التى سيتخِذونها لِمواجَهةِ الغَزْوِ الْعَربِيِّ، وكانَ أهَمُّ هذه الإِجْرَاءات الاسْتعَانَةَ بالقَبَائِل التِى ما زالَ ولاؤهَا لِلروم .

(١) من كل جهة .

(٢) لا محالة : لابد أو لا مفر .

المناقشة

١ «سَمِعَ البربر المقيمون فى الجهاتِ القريبة من هذه البقعة بقصة الماء فأقبلوا من كل حدَب وصَوْب يشاهدون المعجزة التى حَدَثَتْ، ودخل مُعظَمُهُم الإسلامَ عن عقيدة ويقين »

(أ) ما مرادف « يقين » ؟ وما مفرد « الجهات » ؟

وما المراد من قوله « من كل حدب وصوب » ؟

(ب) ما المعجزةُ التى حدثت فى المكان الذى أقام به الجيش؟ ولِمَ سُمِّىَ هذا المكانُ « ماء فرس »؟

(جـ) بم تفسر ظُهُورَ الماء بعد صلاة (عقبة) ودعائه ؟

٢ كيف دخل (عقبة) وجيشه مدينة « خاوار » ؟ وعلى أى شىء يدلُّ ؟

٣ لماذا انزعج حكامُ الوِلاياتِ البيزنطية بعد فتح مدينة «خاوار » ؟

٤ ما الإِجراءاتُ التى اتخذها الحكامُ البيزنطيون لمواجهة الغزو العربِىِّ ؟

١٣

بِنَاءُ القَيْرَوَانِ (١)

بَيْنَما كانَ حُكَّامُ الولاَيات البيزنطيَّةِ يفكِّرونَ على هَذا النَّحْوِ، كانَ عقبةُ يفكِّرُ فى أمْرٍ آخَرَ ... كان يفكِّرُ فى إقامةِ مدينةٍ تَضُمُّ الجيشَ بأمْتِعَتِهِ (٢) وأسْلِحَتِهِ . وتكونُ فى نَفْسِ الوقْتِ عاصمةً للدَّولة الإِسْلاَميَّةِ فى هذه المِنْطَقَةِ .

صَحيحٌ أنَّ الجيشَ الإِسْلاَمِىَّ نَصَره اللهُ فى مَواطِنَ (٣) كثيرةٍ ، ولكِنْ لا يُوجَدُ له مقرٌّ آمِنٌ يَأوى إليه ، ويُعَسْكرُ (٤) فيه ، وَيَلْتقِى المجاهِدُون على أرْضِهِ ، يتدارسُونَ فنونَ الحَرْبِ والنِّزَال .

كان (عقبةُ) فى هذه الأَثناء قد وَصل إلى مَكانٍ كَثيفِ الأشجارِ، يُسَمَّى « قمونية »(٥) وهو بعيد عن البَحْر، ولكنَّه مليءٌ

(١) القيروان : إحدى مدن تونس الكبرى . أنشأها (عقبة بن نافع) سنة ٦٧٠ م .
(٢) أمتعة : المفرد : متاع ، وهو كل ما ينتفع به .
(٣) مواطن : المفرد : موطن . كل مكان أقام به الإنسان .
(٤) يعسكر : يجتمع مع جيشه بمكان .
(٥) قمونية : تقع فى الشمال الشرقى لسبيطلة .

بالسِّباع [١] والحَشَرات والأفاعى [٢] ، لأنَّهُ بِرغم جَوْدَةِ تربته ، وَطِيبِ هَوائِهِ ، لم يَسْكُنهُ أَحَدٌ من الرُّومِ أو البربرِ .

وقَفَ عقبَةُ يتطلَّعُ إلى هذا المكانِ ، ويتأملُ الوحوشَ والأَفاعى التى تَجُوسُ [٣] خِلاَلَهُ .. ثم نادى بأعلى صَوْتِهِ :

أيها الجند طهروا هذا المكان من الأفاعى والوحوش .

لَمْ يَمْضِ غَيرُ قليلٍ حتى بدا [٤] المكانُ خاليًا تمامًا من الأفاعى والسباعِ والوُحوشِ ، وأكَّد المؤرخون أنه ظَلَّ نظيفًا لم تَدْخلُه أفعَى أو وَحشٌ طَوالَ أربعينَ سنةً بعد ذَلك .

رَكَزَ [٥] عقبةُ رُمْحَهُ فى هذا المكانِ وقالَ : هَذا قَيْرَوانُكُمْ .

كانَتْ هذه العبارةُ إشارةَ الانْطِلاقِ بتمهيد الأرض لإِقَامَةِ البِنَاءِ عليها .

بدَأ المُسْلِمونَ بِنَاءَ دُورهِمْ ، وبدأ عُقبةُ بناء المسجِدِ الجامع الذى مازَالَ يَحْمِلُ اسْمَهُ إلى اليَوْمِ . واستمرتْ عمليات البناءِ مِنْ سنة ٥٠ حتى سنة ٥٥ هـ .

(١) السباع : المفرد سبْع . كل ما له ناب ويهجم على الناس والدواب فيفترسها .
(٢) الأفاعى : المفرد أفعى : حية من شرار الحيات .
(٣) تجوس : تتردد أو تجول .
(٤) بدا : ظهر .
(٥) ركز رمحه : غرز رمحه .

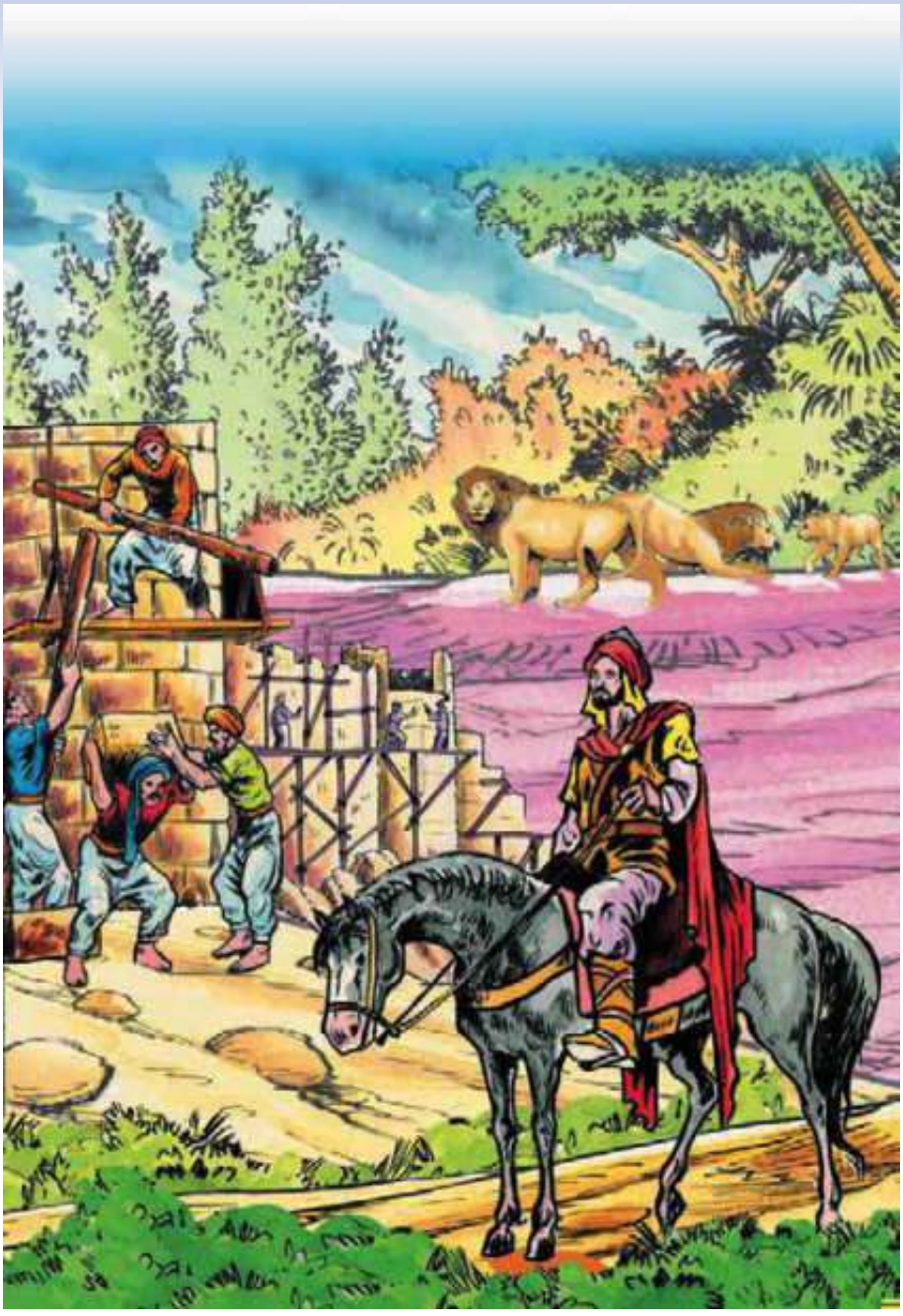

رَكزَ عقبةُ رُمحَهُ فى هذا المكان وقالَ: هذا قَيرَوانكُم

المناقشة

١ لماذا فكَّر (عقبةُ) فى بناء مدينة القيروان ؟

٢ « صَحيحٌ أن الجيش الإسلامى نصَرهُ الله فى مواطِنَ كثيرة، ولكن لايوجد له مَقَرٌّ آمِنٌ يأوى إليه، ويُعَسْكرُ فيه ويلتقى المجاهدون على أرضه يتدارسون فنون الحرب والنِّزَالِ » .

(أ) هات مفرد « مواطن » ومرادف « يعسكر »

والمراد بـ (النزال) فى جُمَلٍ من إنشائك .

(ب) لماذا هجر الروم والبربر مكان القيروان قديما ؟

٣ «وقف عقبة يتطلع إلى هذا المكان، ويتأمل الوحوش والأفاعى التى تجوس خلاله.. ثم نادى بأعلى صوته أيها الجند، طهروا هذا المكان من الأفاعى والوحوش».

(أ) هات مرادف «تجوس»، ومفرد «الأفاعى» فى جملتين من تعبيرك.

(ب) لماذا امتلأ هذا المكان بالوحوش والأفاعى ؟

(جـ) ماذا قال المؤرخون عن هذا المكان بعد أن نظفه جنود عقبة ؟

(د) ما الذى بناه عقبة والمسلمون ؟

(هـ) بم سمى هذا المكان بعد تعمير المسلمين له ؟

C M Y K

١٤

عَزْلُ "عُقبَةَ"

كَانَ عقبةُ فى أثناءِ بِنَاءِ مدينَةِ القَيْرَوَانِ يُرْسِلُ السَّرايا (١) فَتَغْزُو القَبائِلَ المجَاورةَ ، ثم تَعودُ محمَّلةً بالغَنَائِمِ ...

إلاَّ أنَّه لم يَقُم بأىِّ عمليةٍ من عملياتِ الفتحِ الكُبْرى خِلاَلَ هذه السَّنواتِ الخَمْسِ، مِمَّا جَعَلَ (مَسْلَمةَ بنَ مُخَلَّدٍ) الأنصارى (٢)، وكان واليًا على مِصْرَ والمَغْربِ فى تلك الفَتْرةِ، يَجِدُ الفرصةَ سانحةً (٣) لِعَزْلِهِ عن قيادَةِ الجَيْشِ ... فيَطلب من الخليفةِ (مُعاويةَ) عَزْلَ (عُقبة) ، وتَعيين (أبى المهاجِرِ بن دينار) ـ وكان مولًى (لِمسْلَمةَ) ـ مكان عقبة .

من الإنصافِ أن نُقَرِّرَ أن عَزْلَ عُقبة لم يكُنْ سَبَبُهُ انْشِغَالُهُ بِبِنَاءِ القَيْرَوانِ عن مواصَلةِ الفتوحاتِ . فإنَّ بِنَاءَ القيروان كان ضَرورةً يُحتِّمُها (٤) الموقفُ العسكرى فى ذلك الوقتِ .

(١) السرايا : جمع (سرية) وهى جماعة من خمسة جنود إلى أربعمائة .

(٢) مسلمة بن مخلد الأنصارى : يكنى أبا معن ، ولد قبل مقدم النبى ﷺ إلى المدينة بأربع سنوات ، شهد فتح مكة ، ثم تحول إلى المدينة ، ثم ولاه معاوية مصر سنة ٥٠ هـ وهو أول من جمعت له مصر والمغرب . مات بالمدينة سنة ٦٢ هـ . (والكنية كل اسم مبدوء بأب أو أم ، مثل : أبو بكر ـ أم كلثوم) .

(٣) سانحة : عارضة ، مواتية .

(٤) يحتمها : يوجبها .

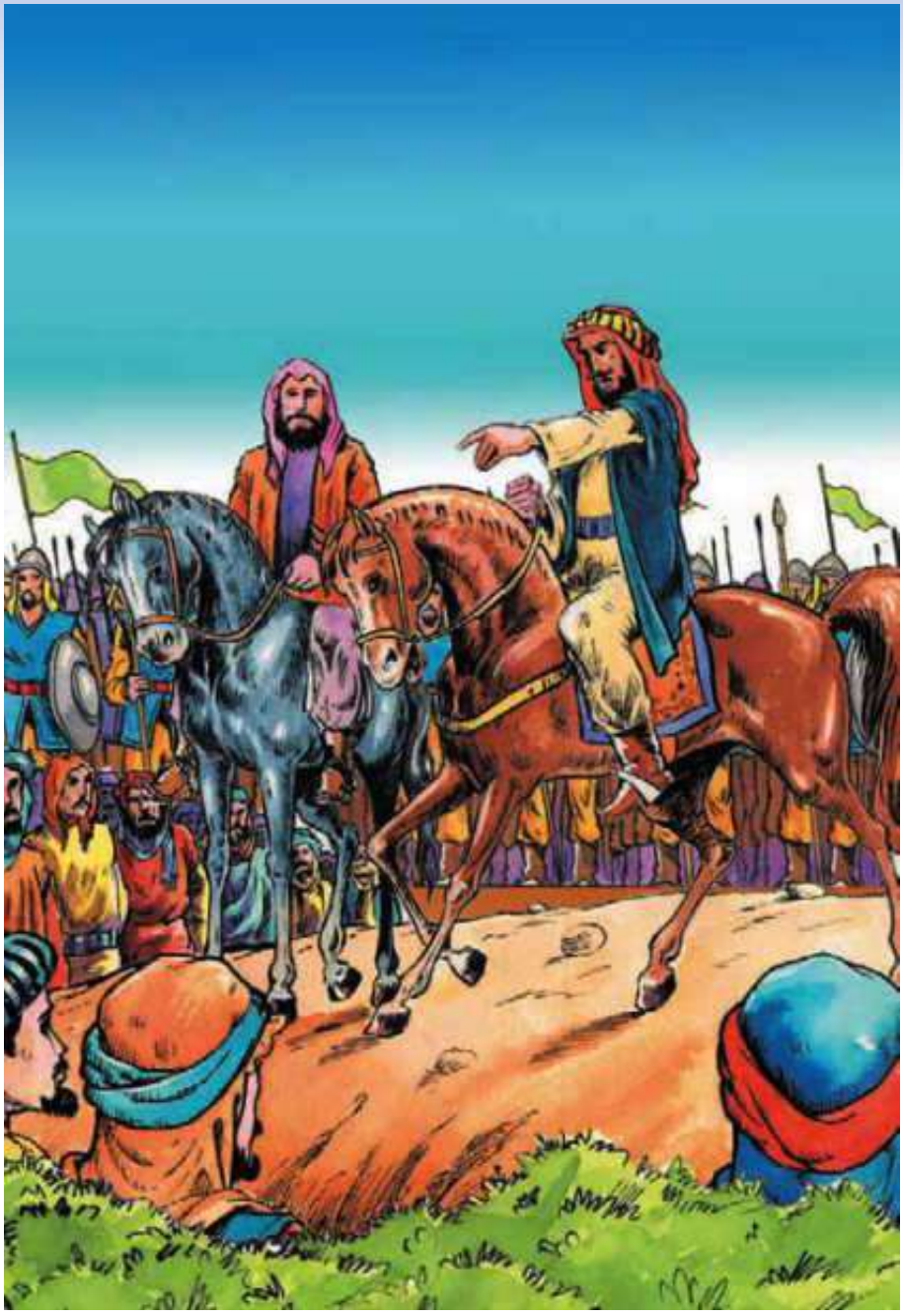

ثم جمعَ أبو المهاجرِ الجنودَ وأعلمهم بمهمتهِ وبدأ يمارسُ مهام وظيفته الرسمية

وإنَّما كانَ سَبَبُه ـ على الأرجحِ ـ هو تَرفُّعُ عقبةَ ، وإهمالهُ شأْنَ مَسْلَمَةَ بنِ مُخَلَّدٍ برَغْمِ عِلْمِهِ أنَّ مَسْلمةَ له كلمةٌ مسموعةٌ عند معاويةَ ابنِ أبى سفيان ..

تَلَقَّى عقبةُ نَبأ العَزْلِ بِصَدْر رَحْبٍ (١) . لم يَغْضَبْ ... لم يَثُرْ .. لم يَعْتَرضْ ..

وكان أبو المهاجر لا يتوقَّعُ من عُقْبة هَذا اللقاءَ السّمْحَ (٢) برغْمِ أنه يَحْمِلُ إليه أسْوأَ نَبأ تلقَّاهُ منذ وفاة عمرو بنِ العاصِ . فقد كانَ هو الآخرُ نَبأً أليمَ الوَقْع على نَفْسِهِ .

أراد (أبو المهاجر) أن يَشْرحَ لِعُقْبَةَ أسْبابَ العَزْلِ ، فنظَرَ إليهِ عُقْبَةُ بِلاَ اهتمامٍ ؛ لأنه يَعْتَقِدُ فى قَرارةِ (٣) نَفْسِهِ أنه من أكْفَأ (٤) الْقُوَّادِ المسْلمِينَ فى ذلك الزمانِ ، ويَعْتقدُ ـ أيضاً ـ أن هُناكَ أسباباً نَفْسِيَّةً وراء قرارِ العَزْلِ ، لا شأنَ لها بكفاءَتِهِ أو قُدْرَتِهِ الحَرْبِيَّةِ ..

(١) رحب : واسع .
(٢) السمح : الكريم .
(٣) قرارة نفسه : أعماق نفسه .
(٤) أكفأ : أقوى وأقدر على تصريف العمل .

ثم جَمع أبو المهاجِرِ الجُنود ، وأعلنَهُمْ بِمُهِمَّتِهِ ، وبدأ يُمَارسُ[1] مهام وظيفته الرسميةِ ..

كان أَوَّلَ عَملٍ قامَ بِهِ أبو المهاجِرِ هو نقلُ المسلِمينَ من مدينة القَيْرَوانِ إلى قريةٍ بَرْبَريةٍ تُسمَّى « دكرور »[2] تقعُ بالقرب من القيرَوان ..

وحَذَا [3] بعد ذَلِك حَذْو عقبة فى نَشْر الدعْوَةِ الإِسْلاَمِيةِ ، والقيامِ بفتحِ الْمدُنِ والأمْصارِ .

أمَّا عقبةُ فقَد ركبَ ناقتَهُ وقَدِمَ على معاوية . ولما اجتمع به قال له :

« إنَّنى فتحتُ البلادَ ، وبنيتُ المنازِلَ ، ومَسْجِدَ الجماعَةِ ، ثم أرسلتَ عَبْدَ الأنْصَارِ فأساءَ عَزْلِى .. » .

اعْتذَر إليه معاويةُ وقال له :

« إذا كانَ (مَسْلمةُ) قد قامَ بِعَزْلِكَ ، فَسوف أرد إليك اعتبارَكَ [4] فى عَمَلٍ آخرَ ؛ لأنك تعلَمُ أن مَسْلَمةَ افتدانى بِدَمِهِ أيام المِحْنة » .

(١) يمارس : يزاول .
(٢) موقع فى تونس .
(٣) حذا حذوه : فعل مثل ما يفعل .
(٤) اعتبارك : كرامتك .

تـأكّـدَ عُـقـبـةُ أن إعـادَتَـه إلى وظـيـفَـتِـه لـنْ تَـتِـم ومَسْلمةُ بنُ مخلَّدٍ على قَيْدِ الحياةِ ، فلـم يحـاولْ أن يناقِـشَ معاويةَ ، وركـبَ من سَاعَتِه وعادَ إلى مِصْرَ .

عَكَفَ من جَديدٍ على التفقُّهِ فى الدِّينِ ، وصَبر على هذه المِحْنةِ سَبْعَ سنواتٍ حتى تُوفِّى معاويةُ سنة ٦٠ هجرية ، وتُوُفِّى (مَسلمة) فى سنة ٦٢ هـ .

المناقشة

١ « تَلَقَّى عقبةُ نبأ العزل بصدر رحب. لم يغضب .... لم يثر .. لم يَعْتَرِضْ . وكان (أبو المهاجر) لا يَتَوقَّعُ من عقبة هذا اللِّقاءَ السَّمْحَ بِرَغْم أنه يحمل إليه أسْوَأَ نبأ تلقاه »

(أ) هات معنى كل من (رحب – السمح) فى جملة من إنشائك؟

(ب) كيف تلقى (عقبة) نبأ عزله ؟

(جـ) ما السبب فى عزل عقبة عن قيادة الجيش الإسلامى؟

٢ أراد أبو المهاجر أن يشرح لعقبة أسبابَ العزل. فكيف رَدّ عقبة على أبى المهاجر ؟ ولماذا ؟

٣ ما أوَّلُ عمل قام به أبو المهاجر بعد تولِّيه القيادة ؟

٤ اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين لما يأتى :

(أ) يعتقد (عقبة) أن وراء عزله أسباب:

(نفسية – دينية – حربية)

(ب) تأكد (عقبة) أن إعادته إلى وظيفته لن تتم إلا بعد وفاة :

(معاوية – مسلمة بن مخلد – أبى المهاجر)

(جـ) عكف عقبة بعد عزله على :

(تدبير المؤامرات – التفقه فى الدين – ركوب الخيل)

١٥

عَودةُ عُقبةَ إلى القِيادةِ

بَعْدَ مَوْت مَسْلمةَ لم يَجدْ يزيدُ بنُ معاويةَ (١) حَرجًا (٢) فى إعادة عُقبة إلى قيادةِ الجَيْشِ فى إفريقيَّةَ. وكانَ هَذا القرارُ بمثابَةِ (٣) رد اعتبارٍ لِعُقْبَةَ إذْ أَنَّهُ سَرْعَان ما حَمَلَهُ، وذَهَبَ إلى بَرْقَة أوَّلاً، وهناكَ لَقِىَ أروعَ استقبالٍ من أهْلِها، وحَظِىَ بأبلغِ أنواعِ التَّرحِيب.

عَرضَ عُقبةُ على المسلمينَ فى بَرْقَةَ الانضمام إلى الجَيْشِ الرَّابِضِ (٤) فى القَيرَوانِ ؛ حتى يتمكَّنَ من حَشْدِ أكبر قوةٍ لفتح إفريقيَّة ، وضمِّها إلى الدَّولةِ الإِسْلاَميَّةِ .

سارع الناسُ إلى تَلْبِيَةِ (٥) نداءِ عُقْبةَ ، وعلى الفَوْرِ أعَدُّوا عدَّتَهُمْ، وجهَّزُوا خُيولَهُمْ ، وانْطَلَقُوا صَوْبَ (٦) القَيروانِ ..

((١) يزيد بن معاوية : الخليفة الأموى الثانى .
(٢) حرجا : ضيقا ، أو مشقة .
(٣) بمثابة : بمكانة أو بمنزلة .
(٤) الرابض : المنتظر والمقيم فيها .
(٥) تلبية : إجابة .
(٦) صوب : جهة .

فُوجئَ أبو المهاجرِ بعقبةَ يتقدَّمُ جَيْشًا كثيفًا من البَرْبَرِ ، ويَدْخُلُ عليه فى مقرِّ القِيادةِ بقريةِ « دكرور » . وقبلَ أنْ يَسْتفْسِرَ منه عَن سَببِ مجيئِه ، أبرزَ له عقبةُ قرارَ يزيدَ بن معاوية ، وطلبَ منه أن يُخْلِىَ مركَزَ القِيَادةِ .

ثم أصدرَ عقبةُ أمرًا بانتقالِ المسْلِمينَ الموجودينَ فى قريةِ «دكرور» إلى مدينة القَيْرَوان . ولما تمَّ رحيلُهمْ إليها بدءوا يجدِّدون منازلَهُمْ المهْجُورَةَ ويعيدُونَ إليها الحياةَ ..

وذات يومٍ بعد أن استَقَرَّ كُلٌّ منهم فى منزلِهِ ، وجَّه أحَدُ الجنودِ البَرْبَرِ إلى جُنْدِىٍّ عربِىٍّ هذا السؤالَ :

– لماذَا سَمَّيْتُمْ هذه المدينة « القَيْرَوانَ » ؟

ردّ عليه الجندىُّ العربىُّ قائلاً .

– إننَا أطلقنا عليها هَذا الاسمَ ؛ لأن لَفْظَ القيرَوانِ يَعْنى فى لُغَتِنَا أنه مَوْضِعُ اجْتِمَاع النَّاس والجَيْشِ .

ثم سكَتَ هُنَيْهة [1] وقال له :

– إنَّ هذه أولُ مدينةٍ إسْلاَميَّة تُقامُ فى هذه البلادِ ، وستكونُ مَرْكزَ إشعاعٍ للمنطقة كُلِّها ؛ وَسَتَخْرجُ منها الحَملاتُ الحربيةُ ؛ لتطهيرِ كلِّ هذه الجِهَاتِ من أعداءِ الله .

(١) الهنيهة : القليل من الوقت .

المناقشة

١ متى عادَ عقبةُ إلى القيادة بعد عزله ؟ وكيف نظر إلى قرار إعادته؟

٢ (سارعَ النَّاسُ إلى تَلْبية نِدَاء عُقْبةَ، وعَلَى الْفَوْرِ أعَدُّوا عُدَّتهم وجَهَّزُوا خُيُولَهم وانْطَلقُوا صَوْبَ القيروان)

(أ) ما مرادف « صوب » وما مضاد « تلبية » ؟

(ب) ما فائدة قوله « على الفور » ؟

(جـ) ما موقف الناس من نداء (عقبة) ؟

٣ لماذا سميت مدينة القيروان بهذا الاسم ؟

٤ لماذا بذل عقبة اهتماما كبيرا بمدينة القيروان ؟

٥ الجيش الرابض فى القيروان قوة ضاربة .

الجيش المقيم فى القيروان قوة عظيمة .

أى التعبيرين أقوى ؟ ولماذا ؟

١٦

أخطر معارك عقبة

لَبثَ (عقبةُ) بضْعَةَ أيامٍ فى القيروان يُعيدُ تَنْظِيمَ الجَيْشِ ، ويرتِّبُ الميمنةَ والمَيْسَرةَ والقَلْبَ ؛ حتى أصْبحَ الجيشُ على أُهْبَةِ[١] الاسْتِعْدَادِ لِلغَزوِ والفَتْحِ ...

وفى اللَّيْلةِ التى حَدَّدَهَا (عقبةُ) لِبَدْءِ الغزوِ سَهِرَ حتى ساعَةٍ متأخِّرةٍ من اللَّيل مع أوْلادِهِ يُحدِّثُهم عن الجِهادِ والاسْتشْهادِ .. قالَ لَهُمْ فيما قال :

« إنَّنى قد بِعْتُ نفسى لله عزَّ وجَلَّ .. فلا أزالُ أجَاهِدُ من كفَر بالله » .

ثم أوْصَى بما يَجب أن يَفْعَلُوهُ بعدَه ، ولَمَّا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاةِ الفَجْرِ قَام وأدَّى الصَّلاةَ ، ثم قَبَّل أولادَهُ ، وركب جوادهُ ، وانطلق أمام الجَيْشِ ، متَّجهاً إلى الزَّاب .. وهى المدينة التى يُطْلَقُ عليها اسمُ (قسنطينة) اليومَ (بالجزائر) .

(١) أهبة الاستعداد : أتم الاستعداد وأقواه .. والجمع أُهَب .

وقبل أن يغادِرَ القيروانَ استخلفَ عليها (زُهَيْر بن قيس البَلَوىّ) فى خَمْسَة آلافٍ من الجُنْدِ .

رفَعَ عقبةُ شُعْلَةَ الإسلامِ التى أضاءت مِنْ بَرْقَة حتى القيروان مرةً أخرى ، وتهيَّأ لليومِ الموعودِ الذى يَتِمُّ فيه افتتاحُ إفريقِيَّةَ ، وتَعْلُو رايةُ الله فيها ..

لقد اسْتُبْعِد من مَيْدَانِ الجِهادِ سَبْعَ سنواتٍ ودَّع خِلاَلَهَا الْعَقدَ السَّادِسَ من عُمْرِهِ ، ومعَ ذلك ظَلَّ متوقِّد الحماسَةِ لَخَوض المَعَارِك فى سَبيل الله ... لا يروقُهُ (١) إلا منظرُ السُّيوفِ والرِّماحِ، وهى تلمعُ فى أيدِى الفُرسانِ . ولا يُطْربُهُ إلا حَمحَمَةُ (٢) الخَيْلِ، وهى تعدو بالمقَاتِلينَ فى مَيْدانِ الحربِ.

إنه الآن فى الثانية والستِّين من عمرهِ ، وقد أمْضَى مُعْظَم حَيَاتِه إمَّا رائدًا دينيّا يُعَلِّم النَّاسَ شئونَ دينهِمْ ، وإمَّا غازيًا فى سبيل الله يفتَحُ المدُنَ والأمْصَارَ ، ويُعْلِى كلِمةَ الله فى الأرض..

(١) لا يروقه : لا يعجبه .
(٢) حمحمة الخيل : صوتها .

C M Y K

وحانَتْ منه نظرةٌ نَحْوَ المشرقِ ، فوجَدَ الشَّمْسَ تَتهادى بأشِعَّتها الذهبيةِ رويدًا رويدًا [١] وتَلُفُّ الكونَ فى غِلاَلَةٍ [٢] من النُّورِ .. فقال يحدِّثُ نَفْسَه : إننا نَحْمِلُ إلى العالم شَمْسًا لا تَغِيبُ أبدًا ... إنَّها القُرْآنُ ... شَمْسُ الإِسْلام... شَمْسُ المثل العُليا والأخلاق الفاضلة . إنّ هذه الشمسَ لابدَّ أنْ تسطعَ فى كلِّ مكانٍ ... إن لَيْلَ الوثنية قد آذَنَ بالزَّوال ...

ثم نَظَر إلى الضُّبَّاطِ المسلمينِ الذين أمْسكُوا بأعنَّةِ [٣] خُيولهم، ووقفوا فى مُقَدِّمةِ الجيشِ ، ينتظرونَ الإِذْنَ لهم بالتَّحركِ ، وقالَ لهم :

– لكأنِّى بكم، وقد فَتَحْتُمْ إفريقيةَ ونشرتُمْ عليها نُورَ الإِسْلاَمِ، وأخْرَجْتُمْ أهْلَها من الظُّلماتِ... إنَّكمْ حزبُ الله ، و(**إنَّ حِزْبَ**[٤] **اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ**) [٥]... واذكُرُوا يا مَعْشَر [٦] المسلمين كيفَ

(١) رويدا : على مهل .
(٢) الغلالة : ثوب رقيق : والجمع :غلائل .
(٣) أعنة : المفرد : عِنان : وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة .
(٤) حزب الله : أعوان دين الله وأنصاره .
(٥) سورة المائدة، من الآية ٥٦ .
(٦) معشر : كل جماعة أمرهم واحدٌ ، والجمع : معاشر .

«نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرةٍ» (١) وكيفَ مَحا بِكُمْ ظَلامَ الْوَثَنِيَّةِ مِن مُعْظَمِ هذه البقاعِ ..

لقد جِئْنا هذه الأرضَ ، وكانَتْ تَمُوجُ (٢) بالظُّلمِ ، وكان أهلُها يَرسُفون (٣) في قيودِ الاسْتِعْبَادِ البيزنطيِّ... ويبيعون أولادَهُم لِيَدْفَعُوا الضرائبَ لسادةِ الرومانِ ، فَحَرَّرْنا القبائِلَ من الحُكْمِ البيزنطيِّ ، وجعَلْنا النَّاسَ سَواسِيةً (٤) في الحُقوقِ والوَاجِباتِ . وأدَّيْنَا للفقيرِ حَقَّه من مال الغَنيِّ، وعَوَّضْنا الأجراء عن سنواتِ الظُّلمِ والإجْحافِ (٥) ، فأصبحَ الأجيرُ يَأْخُذُ أجْرَهُ قبلَ أن يجفَّ عرقُهُ ، كما أمَرنا الإِسْلامُ ...

ونحنُ يا مَعْشَرَ المسلمينَ عَلَى أبواب مَعارِكَ دَامِيةٍ ... فلنكنْ فيها أشدَّاء على أعدائِنا ، رحماءَ بمنْ يُسالمونا ، وَيَدْخُلونَ في دين الإِسلامِ .. انطلِقُوا على بَرَكَةِ اللهِ ...

(١) سورة التوبة ، من الآية ٢٥ .
(٢) تموج : تضطرب ، أو تشتد .
(٣) يرسفون : يمشون فيها ببطء .
(٤) سواسية : متساوين .
(٥) الإجحاف : شدة الإضرار بهم ، أو تكليفهم مالا يطيقون

المناقشة

١ فـــى أى شـــىء قـــضـــى (عقبـــة) أيامـــه بعـــد عودتـــه إلى القـــيروان ؟

٢ أكمل الجمل فـى العمـود (أ) بما يناسـبها مـن العمـود (ب)

(أ)	(ب)
(أ) ظـل عـقـبـة مـتـوقـد الحماسة	(للانتقام من الأعداء – لخوض المعارك).
(ب) لا يروقه إلا منظر ...	(الأعداء مهاجمين – الأعداء منهزمين).
(جـ) ولا يطربه إلا	(صوت المغنى – صوت الخيل).

٣ (لكأنى بكم ، وقد فتحتم إفريقية، ونشرتم عليها نور الإسلام وأخرجتم أهلها من الظلمات؛ إنكم حزب الله ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١)).

(١) سورة المائدة من الآية (٥٦).

(أ) من قائل هذا الكلام ؟ ومن الذين كان يخاطبهم ؟

(ب) ضع معنى كل من الكلمتين الأولى والثانية، ومفرد الثالثة فى جمل من إنشائك.

(حزب الله – معشر – مواطن) .

(جـ) بم صور (عقبةُ) حال البلاد قبل فتح المسلمين لها ؟

٤ تلف الشمس الكون فى غلالة من نور .

عبر بأسلوبك عن هذا المشهد فى سطرين .

٥ تتهادى الشمس بأشعتها الذهبية – رويدا رويدا .

تتحرك الشمس بأشعتها الوردية فى بطء .

أى التعبيرين أجمل ؟ ولماذا ؟

١٧ يَومٌ مشهودٌ

تحرَّكَتِ الخيولُ بالفُرْسانِ المسلمينَ، ورَفْرفَت الأعلامُ فى مقدِّمة الجَيش، وأخذ عقبةُ يُتَمْتِم ببعْضِ آياتٍ من القرآن الكريم... وكأنما بَهَر(١) الشَّمسَ منظرُ الجيشِ العربىِّ الزَّاحِفِ فراحتْ تُسْرِفُ فى إرْسالِ الأنوارِ على هذه الصَّحْراءِ الممتدَّةِ على مَرْمَى الْبَصَرِ... وسَمِعَتِ الرمالُ كلماتِ التَّسْبيح (٢) والتَّهليل(٣) تنطَلِقُ من حناجِرِ الفُرْسانِ ... وأحسَّت أنه يوم مشهودٌ فى التاريخ، وأنه سيكونُ ميلادًا جديدًا لهذِه المِنْطَقَةِ .

كان الجيشُ العربىُّ متَّجِهًا إلى مدينةِ الزَّاب من شَمَالِ تيبسةَ وجبالِ أوراس .. يُنافِسُ لمعانُ سيوفه بريقَ الضُّحا.. وكانَ (عقبةُ) يقودُ الجيش فى فَرَحٍ واغْتباطٍ ، كأنه ذَاهِبٌ فى نُزْهَةٍ مُمْتِعَةٍ . يتألَّقُ(٤) وجهُهُ بالمهابَةِ(٥) والجَلالِ والوَقارِ .. وكان كلَّما

(١) بهر : أعجب .
(٢) التسبيح : قولهم : سبحان الله .
(٣) التهليل : قولهم : لا إله إلا الله .
(٤) يتألق : يتزين .
(٥) المهابة : العظمة .

تقدَّم أميالاً فى الطريق يسألُ: متى نَلْتَقِى بأعْداءِ الله ؟ فيجيبه الضباطُ المسلمونَ من حوْلِهِ: صَبْراً يا ابْنَ نافِع ... إنَّ المعارِكَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها ، و﴿**إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**﴾[١] .

وبعد أن انتصفَ النَّهارُ. وكان الغُبارُ الذى خلَّفهُ الجيشُ وراءَهُ قد جاوز[٢] السَّحابَ ، نَظَر (عقبةُ) إلى بناءٍ على مَرْمى البَصَرِ، وسألَ الأدِلاَّءَ: ما هذا البناءُ؟ فقالوا: إنَّها مدينةُ باغاية ... وهى حصنٌ قديمٌ من حُصُونِ البربر، ولكنَّ سكَّانها الآن من الرُّوم والبرْبر معاً ..

كانتْ أنباءُ عقبةَ وجيشِه قد سَبقَتْ إلى هذه المدينةِ ، واحتشدَ أهْلُها خارجَ الأسْوارِ ، وصَمَّموا على قتال المسلمينَ .. وخرجت نساؤهُمْ يُشجِّعْنَ المقاتلينَ .. وسَرعانَ ما الْتَقَى الجيشُ الإسلامىُّ بالجيش المكوَّن من الرُّوم والبربر ، وكبَّر المسلمونَ ، وكان التحامًا عنيفاً لم تشهدْهُ هذه المدينةُ من قَبْلُ... ونادَى (عقبةُ) فى الجَيْشِ : ﴿ **فاضربُوا فوقَ الأعْناقِ ، واضْرِبُوا مِنْهُمْ كلَّ بَنَانٍ**[٣] ﴾ .

وإذ ذَاك تطايرتِ الأشْلاَءُ[٤] ، وتناثرتِ الدِّماءُ وفزِعَ نساءُ

(١) سورة البقرة ، من الآية (٢١٤) .
(٢) جاوز السحاب : تعداه وخلفه وراءه .
(٣) البنان : أطراف الأصابع : المفرد : بنانة : سورة الأنفال، من الآية (١٢) .
(٤) الأشلاء : الأعضاء . المفرد : شلو .

C M Y K

البربر والرُّوم لمصارع رجالهنَّ ، وحاول الرومُ والبربرُ أن يرتدُّوا ويَعْتَصِمُوا بالمدينةِ ، ولكنَّ (عقبةَ) كانَ قد سبقهم إليها بمجموعةٍ من الفُرسانِ فسدَّ عليهم الطريقَ . ووجد الرومُ والبربرُ أنفُسَهُمْ محصورينَ بين المسلمينَ من الأمام والخلفِ . فأعلنوا رايةَ التَّسْليم ، وطَلبُوا الأمَانَ ..

نادَى عقبةُ فى الجيشِ بوقْفِ الطِّعانِ ، فسكنَ صليلُ (١) السيوف، وهدأتْ ضجَّةُ (٢) المعركة ... وتقدَّمَ زعيمُ المدينةِ إلى عُقْبةَ يطلبُ منه الصلْحَ ، فأجابَهُ إلى طلبه ، ولكنَّه اشترط عليه أن يَدْفَعَ للمُسلِمِينَ ضريبةَ الدفاعِ ، وهى عَدَدٌ من الخُيول الأَصِيلة.. لأنَّ المدينةَ كانَتْ تمتازُ بأنها تَضُمُّ أحسنَ الخيول ..

تسلَّم عقبةُ الضريبةَ ، وأعطاهَا الجيشَ ، ثم اتجه إلى مدينَة «تازولت » .. حاولَتْ هذه المدينةُ أن تَصُدَّ الزحفَ العربىَّ ، فلم تُجْدِ مقاومَتُها فتيلا (٣) ، وَلَقِىَ سكانُها هَزِيمَةً قاسيةً ، وطَلبُوا بدَوْرِهِم الأَمَانَ فَهادنَهُمْ عقبةُ ، وفرض عليهم جِزْيةً ، فدفعوها له قبل أن يغادِرَ المدينةَ .

(١) صليل السيوف : صوتها ورنينها .
(٢) الضجة : الجلبة والصياح .
(٣) فتيلا : الفتيل : الخيط فى شق النواة ، والمراد من لم تُجدِ مقاومتها فتيلا: أى لم تُجدِ شيئا ، وكان فتحها سهلا .

C M Y K

المناقشة

١ كان منظر الجيش الإسلامى المتجه إلى مدينة الزاب رائعا. صف ذلك المنظر بأسلوبك .

٢ « كان عقبةُ يقودُ الجيش فى فرح واغتباط؛ كأنه ذاهبٌ فى نُزْهَة مُمْتِعةٍ يَتألَّقُ وجْهُهُ بالمهابة والجَلاَل والوقَار، وكَانَ كلما تَقدَّم أمْيَالاً فى الطريق يَسْألُ : متى نلتقى بأعداءِ الله ؟ » .

(أ) ضع مرادف « جلال »، ومضاد « الوقار » فى جملتين من عندك .

(ب) كيف كان حال عقبة وهو يقود جيشه ؟

(جـ) تحدث عن المعركة التى دارت بين المسلمين والبربر والروم حول مدينة (باغاية)، وماذا كانت نتيجة هذه المعركة ؟

٣ (ضريبة – الصلح – صليل – ضجة – الطعان – طلبه – اشترط) .

C M Y K

ضع كل كلمة من الكلمات السابقة فى مكانها المناسب مما يأتى :

نادى (عقبة) فى الجيش بوقف ... فسكن... السيوف وهدأت... المعركة وتقدم زعيم المدينة إلى عقبة يطلب منه... فأجابه إلى... ولكنه... دفع... للمسلمين .

٤ على أى شىء تدل مهادنة عقبة لأعداء الإسلام وقبوله الجزية منهم ؟

٥ فهدأت ضجة المعركة .

صور هذه الضجة فى ثلاثة أسطر بأسلوبك .

١٨
مَعركةُ المصيرِ

كانَتْ هاتان المعركتان تمهيدًا لمعركةٍ كُبرى يتقرَّرُ بِها مصيرُ الحربِ فى هَذِهِ المِنْطقة .. إن «الزَّابَ» على بُعْدِ أميالٍ من جَيْشِ عُقبة، وإن سُكَّانَ «أدنةَ» عاصِمَةِ «الزَّابِ»[١] قد عَلِمُوا بِزَحْفِ عُقبةَ، وسَمِعُوا بما جَرَى للْبَرْبَر والرومِ فى مدينتى «باغاية» و «تازولت» ، فقرَّروا أن يُدافِعُوا عن مَدِينَتِهِم إلى آخرِ جندىٍّ منهم ..

احْتَشَدوا خارجَ (أدنة) فى مكان اسمُهُ «وادى سَهَر»، وكانوا يُعَدُّون بعشراتِ الآلافِ، وقد قُسِّمُوا كتائِبَ، يقودُ كلاًّ مِنْهَا ضابطٌ من خيرةِ الضُّبَّاطِ فى الرُّوم والبربر ..

إنهُمْ يَعْلمون خُطُورَةَ هذه المعركةِ.. إما أن يثأروا من المسلمينَ، ويقضُوا عليهم ، وإما أن تضيعَ المنطقةُ من أيديهمْ إلى الأبد ..

كان تصورُهُمْ لهذه المعركةِ بالغًا ، مما جَعَلَهُمْ يَحْشُدون كلَّ

(١) الزاب : أراضٍ وجبال فى الجزائر على حدود الصحراء الكبرى .

رِجَالِهِمْ تقريبًا. ويَحْشُدون فى نَفْسِ الوقتِ جيشًا من النِّساءِ؛ لتشجيعِ الرجال على مُنازلةِ المسلمين، وشدِّ عَزَائِمِهِمْ فى هذا الوقْتِ الرَّهِيبِ ..

وكانَ (عقبةُ) فى الجانبِ الآخر يعلمُ أن هذه المعركةَ. ستُحدِّدُ مستقبلَ جِهَادِ المسلمينَ فى المِنْطَقةِ. فقامَ بتوزيعِ الخيولِ التى غَنِمها من معْركة (باغاية) على الرَّاجلين من الجَيْشِ. وألقى فى المجاهدين كلمةً تَنْبِضُ (١) بالإيمانِ والعقيدةِ، وتتألَّقُ بالعزيمةِ والبأسِ ...

قال للْجَيْشِ المتأهِّبِ لِلِقاء الروم والبربرِ عند مدينةِ « أدنة » :

« لقد نَصَر اللهُ المسلمينَ ببَدْرٍ ، وكانُوا قِلةً فى العَدَدِ والعتَادِ (٢).. وهَزَمَ المشركينَ رغْم أَنَّهُمْ كانُوا يَفُوقون المسلمينَ عَدَدًا وعُدَّةً. كما أن اللهَ نَصَر المسلمين فى معركةِ اليَرْمُوكِ ، وكانَ جيْشُ المسلمينَ ضئيلاً إذا قُورِنَ بجيشِ الأعداءِ ... فاصْبروا وَصابِرُوا ولا ترهِبْكُمْ كثرةُ أعدائِكُمْ .

إننا جِئْنَا هذه الأرضَ ، ونحن لا نَزِيدُ على عَشراتٍ من الرِّجالِ، ثم خُضْنَا عَشَراتِ المعاركِ أمام عَدُوٍّ يفوقُنا أضعافًا

(١) تنبض بالإيمان : المراد تحس وتشعر بالإيمان .
(٢) العتاد : أسلحة الحرب ، وغيرها .

C M Y K

مُضاعفةً، ومع هذا كتب الله لنا النَّصْرَ ، وأنزل الهزيمةَ بالأعداء وأصبحنا ـ بحَمْدِ الله ـ جيشاً يَهزُّ البلاط البيزنطى فى القسطنطينية، ويروِّع (١) ما بَقِىَ من بَطارِقَةِ (٢) الرُّوم.

هَزَّتْ هذه الكلماتُ المشْرقَةُ مشاعرَ المسلمين فجرَّدوا أسْلِحَتَهمْ، وانطَلَقُوا وراءَ القائِدِ الكَبيرِ صَوْبَ مدينة « أدنة » .

كان الرومُ والبربرُ قد عَسْكروا على بُعْدِ أميالٍ من المدينةِ ، منتظرين الجَيْشَ الإسلامىَّ ، وكلُّهم إصْرارٌ وتصميمٌ على خَوْضِ معركةٍ عنيفةٍ ..

وبينما هُمْ فى مُعَسْكَرِهِمْ إذا بِهِمْ يَلْمَحونَ غُبارَ الجيشِ الإسْلاَمِىِّ يَسُدُّ الأُفق من بعيدٍ ، ويبصرون بريق الأسْلِحَةِ يتوهَّجُ فى الفَضاءِ ، فطافَ بِخَلَدِهِمْ(٣) ما جَرَى للروم والبربرِ على أيدى المسلمينَ ، فَتَزَعْزَعت ثِقَتُهمْ فى أنفسهم ، وبدأت حماستُهُمْ تفترُ (٤) شيئًا فشيئًا .. وأدركَ الضباطُ أن الجنود أصابهم الفزعُ والرعبُ .. فراحُوا يبثُّون فيهم الحميَّةَ(٥) ، ويُشجعونَهُمْ على قِتَالِ المسْلِمِينَ ...

(١) يروع : يفزع ويخوف .
(٢) بطارقة : المفرد : بطريق ، وهو القائد من قواد الروم .
(٣) خلدهم: الخلدُ: البال والنفس.
(٤) تفتر : تضعف .
(٥) الحمية : الأنفة أى العزة .

تسـلَّلَ فريـقٌ من الضـباط الروم ناحية النساءِ ، وأمروهُنَّ أن يُنادين فى الجُنودِ بالتحفزِ (١) ، وعَلَى الفَوْرِ تعالَتْ صيحاتُ التَّشْجِيعِ من النساءِ أن تَقَدَّموا يا جُنودَنا .. يا رجالَنا .. ياحُماتنا .. دافعُـوا عنْ أرضِكُمْ . عَنْ عِرْضِكمْ(٢) .. عن أمْوالِكُمْ .. لا تَكُونوا لُقْمةً سائغةً (٣) للمسلمين ..

التَحَم (٤) الجيشانِ فى قتال دَامٍ مرير .. وقد أظْهَر (عقبةُ) فى هذه المعركةِ من البَسَالةِ والجُرأةِ ما خلَع (٥) قُلوبَ أعدائِهِ من الرُّعْبِ ، إذْ أَنَّهُ كانَ يَصُولُ (٦) ويجولُ بفَرَسِهِ ، ويمزقُ جُنْدَ الأعْداءِ كلَّ مُمَزَّقٍ ، ويرسلُ الضَّربةَ إثْرَ (٧) الضَّرْبَةِ ، فيقصِم(٨) الرءوسَ والهامَات (٩) .

وأبدَى المجاهدونَ المسلمون فى هَذا اليَوْمِ كلَّ مَهَارتهِم الحربيَّةِ ، وكلَّ ما عرفوه من فُنونِ القتالِ ؛ حتى تَقَهْقَر (١٠)

(١) التحفز : الاستعداد .
(٢) العرض : ما تجب المحافظة عليه والدفاع عنه .
(٣) سائغة : سهلة .
(٤) التحم الجيشان : اشتبكا واختلطا .
(٥) خلع القلوب : المراد جعلها تضطرب وتفزع .
(٦) يصول ويجول : المراد ، يطاردهم ويهجم عليهم .
(٧) إثر : عقب ، أو وراء .
(٨) يقصم : يفصل .
(٩) الهامات : المفرد : الهامة : مقدمة الرأس .
(١٠) تقهقر الأعداء : المراد : تراجعوا إلى الخلف مهزومين .

C M Y K

الأعـداءُ، وفـروا هـاربين إلى مَـدِينَـتِـهِـمْ، تُشيِّعُهُمْ صرخاتُ النِّساء، وَوَرَاءَهُم خيل المسلمين، وجنـدُ اللهِ يَرْمُونَهُمْ بالموتِ، ويُلحقُون بِهِمُ الدَّمارَ.

غَنِمَ عقبةُ وجيشُهُ من هذهِ المعركةِ مغانمَ كَثيرةً .. وأنهَى مقاومةَ البيزنطيين تمامًا ، واطمأن قلبُه إلى أنّ فَتْحَ البلادِ الواقِعةِ فى طريقِهِ حتى طنجة أصبح أمْرًا ميسورًا ..

طَلـب إلى جَيْشـهِ أنْ يَأخـذَ قِسْـطاً(١) من الرَّاحَـةِ قبل أن يستأنف السيرَ إلى طَنْجَة، و لم تكن الراحَةُ بالنسبةِ (لعقبةَ) إلا أداءَ الصَّلاةِ ؛ شكراً للهِ على ما مَنحَهُ من نِعْمَةِ النصرِ .

(١) القسط : النصيب أو الحصة .

المناقشة

١ لماذا كان تصور (عقبة بن نافع) وسكان (أدنة) للمعركة التى ستقع بينهم بالغا ؟

٢ (ومع هذا كتب الله لنا النصر وأنزل الهزيمة بالأعداء، وأصبحنا بحمد الله جيشا يهز البلاط البيزنطى فى القسطنطينية، ويروع ما بقى من بطارقة الروم).

(أ) هات مضاد « يروع » ومفرد « بطارقة » وجمع « الهزيمة » فى جمل من إنشائك .

(ب) من قائل هذه العبارة ؟ وما أثرها فى المخاطبين بها ؟

(جـ) رأى الروم والبربر غبار الجيش الإسلامى يسد الأفق. ما أثر ذلك فى نفوسهم ؟

٣ كان لنساء الأعداء دور فى المعركة التى وقعت بين المسلمين وأعدائهم . وضح ذلك .

C M Y K

٤ أظهر (عقبة) والمجاهدون المسلمون فى معركة (أدنة) مهارتهم الحربية. تحدث عن ذلك .

٥ ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة لما يأتى :

(أ) غنم (عقبة) من هذه المعركة :

(ذهبا كثيرا – جنودا كثيرة – مغانم كثيرة).

(ب) أصبح الطريق إلى طنجة بعد المعركة:

(شاقا – ميسورا – ملتويا).

(جـ) طلب (عقبة) إلى جيشه أن يأخذ:

(المغانم التى غنمها – قسطا من الراحة).

(د) كانت الراحة بالنسبة (لعقبة):

(أداء الصلاة – التنقل بين البلاد – جمع الأموال).

٦ على أى شىء يَدُلُّ إصرار الروم والبربرِ على قِتَالِ المسلمين ؟

١٩

الزَّحف على طنجة

بعد أنِ اسْتَراحَ المجاهِدون يومًا وبعض يَوْمٍ نَادَى فِيهم عقبةُ بالرَّحيلِ فانطَلقُوا تِجاهَ طنجة . وكانتْ شُعلةُ الحماسةِ قد بَلَغتْ أقصى اتقادها فى نُفُوسِهمْ ، ولكنَّهُمْ قبل أن يَبْلُغُوا طنجةَ وجدُوا فى طَرِيقِهِمْ مدينةَ تيهرت ... وكانت إحدى المدنِ الحَصينةِ فى عَهْدِ الرُّوم ، فخشِيَ أهلُها أن يخْرجُوا لِقتَال المسلمينَ ، فَيَلْقَوْا نفسَ المصير الذى لاقاهُ أهلُ المدن الأخرى ، وكانُوا أشدَّ منهم قوةً وبأساً ؛ لذلك قَرَّروا أن يَعْتَصِمُوا بمدينتهم ويحاربُوا المسلمينَ من وراء الأسْوار .

عندما وصَلَ عقبةُ إلى هذهِ المدينةِ وجدَها مُغلَقَةَ الأَبْوابِ .. وسَمِعَ صَوْتَ الجُنْدِ من خَلْفِ الأسوارِ يُحَذِّرون أنْفُسَهُمْ من حَرْبِ المسْلمينَ .

أدركَ عقبةُ فى هذه اللَّحْظَةِ أن الرُّومَ والبربرَ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بملاقاته فى هذه المِنْطَقَةِ ... وأن اللهَ الذى أتمَّ عليه نِعْمتَه بالنصر قذَف الرُّعب (١) فى قلوبِ أعدائه .. فَحاصرَ المدينةَ بِضْعَةَ أيامٍ ؛ حتى اضْطُرَّ مَلِكُهَا إلى إعْلاَنِ التَّسْلِيمِ ودَفْعِ ما يَطْلُبُه المسلمون من ضريبةِ الدفاعِ.

(١) قذف الرعب فى قلوب أعدائه : أى ملأهم بالخوف .

تَسَلَّمَ عقبةُ الضريبةَ من ملكِ تيهرت ونظر إلى السَّماءِ وقالَ :

اللَّهُمّ إنَّك تَعْلَمُ أنِّى أجاهدُ فى سَبيلِكَ فأعِنِّى على مُواصَلَةِ الجهادِ .

ثُمَّ أمرَ الجيشَ بالانْطِلاقِ إلى طَنْجَةَ .

وكانَتْ كلُّ البلادِ التى سَيَمُرُّ بها قَدْ دخَلَ أهلُها الإسلامَ. فما إن عَلِمُوا بِتَقدُّمِ عقبةَ حتى خرَجُوا مُهلِّلِين(١) مكبِّرينَ يُحَيُّونَ القائِدَ العَربىَّ، ويُزَوِّدون جَيْشَه بما شاءَ من الماء والطَّعامِ والأسْلِحَةِ .. وفضْلاً عن ذلِكَ تَطوَّعَ عددٌ كبيرٌ من أَهْلِ هذه البِلادِ للانضمامِ إلى جَيشِ عقبةَ للجهاد فى سبيل الله ..

أما طَنْجَةُ التى كانَ (عقبةُ) وجيشُهُ على بُعْدِ أميالٍ منها، فقد خَرَجَ مَلِكُها، واسمهُ (يُلْيانُ الغمارىُّ) فى جمعٍ من رِجالِهِ، لاستِقْبالِ القائدِ العربىِّ، والتَّرحيبِ به.. لأنَّ هذا الملكَ كانَ لا يُضْمِرُ (٢) شرّاً للمسلمينَ .. ولا يُناصِبُهُمْ (٣) العَدَاءَ..

وفى قصْرِهِ المطِلِّ على البَحْرِ.. استضاف (عقبةَ) وعدداً من

(١) مهللين : قائلين : لا إله إلا الله .
(٢) يضمر : يخفى .
(٣) لا يناصبهم : لا يظهر لهم .

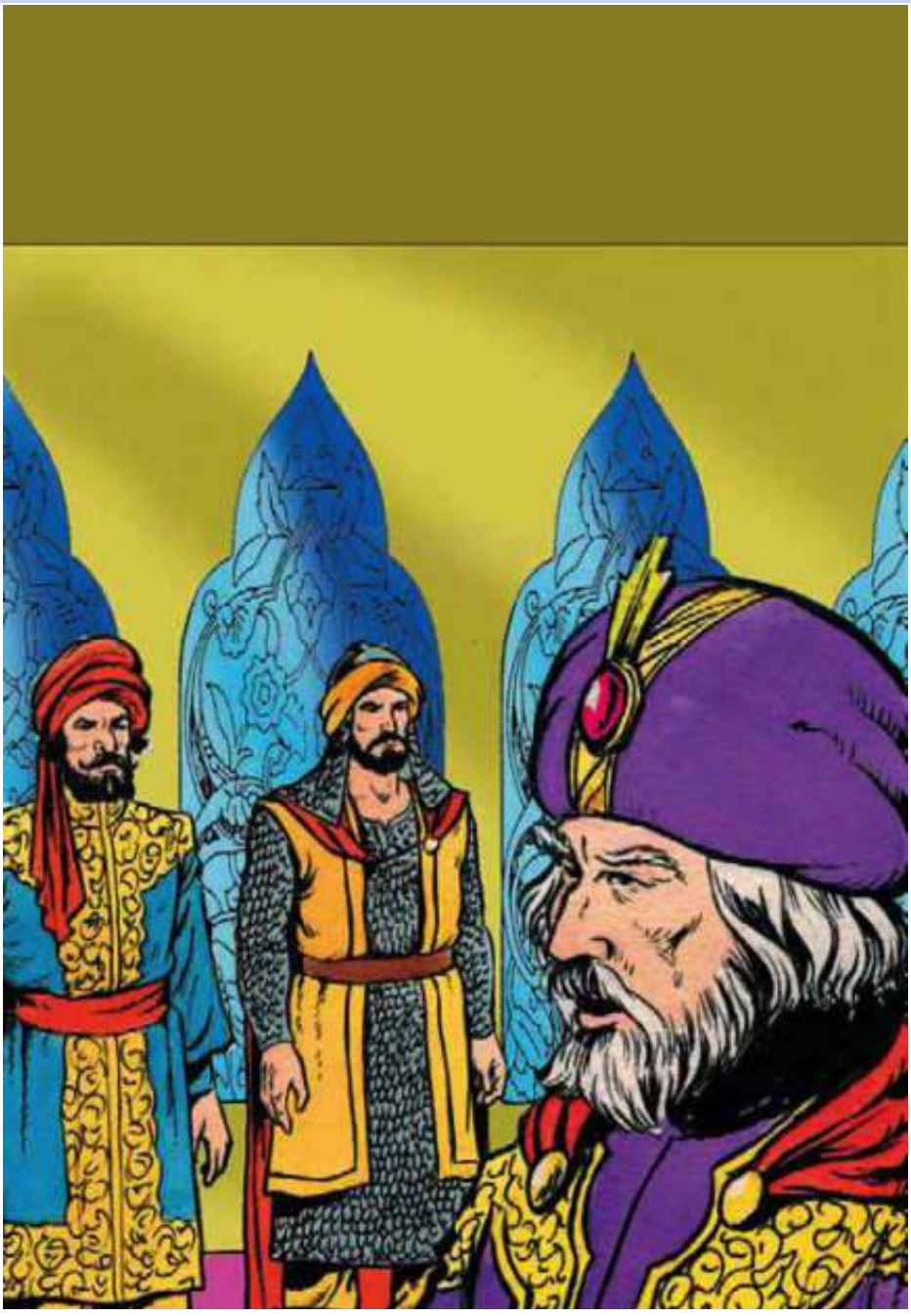

خرجَ ملكُ طنجةَ فى جمعٍ من رجالهِ، لاستقبالِ القائدِ العربىِّ، والترحيبِ به.

ضُبَّاطِهِ ، وقدَّمَ لَهُمْ هدَايا نفيسةً .. وأعْلَنَ موافَقَتهُ على كلِّ مَطَالِبِ المسلمين .

قرأَ (عقبة) فى نَفسِهِ قول الله تعالى :

﴿وإن جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وتوَكلْ على الله﴾[1] .

ثُمَّ الْتفتَ إلى يُلْيان وقالَ له :

– إن البِلادَ الواقِعةَ من بَرْقَةَ إلى طَنْجَةَ أصْبَحَتْ خاضعَةً لِحُكْمِ الإِسْلامِ ، وإن تَفْكِيرى الآن متَّجِه إلى غَزْوِ الأَنْدَلُسِ ، وجعْلِهَا دولةً واحدةً مع المغربِ .

قالَ له يُلْيان :

– إننى أنصَحُكَ بِعَدَمِ الاشْتبَاكِ مع القُوط [2] ؛ لأنَّ قُوَّاتِهِمْ تفوقُ قُوَّاتِك آلافَ المرَّاتِ .. وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ مواصَلَةَ غزواتِكَ وفتوحاتكَ ، فأنْصَحُكَ بِغَزْوِ السُّوسِ الأَقصَى والأدنَى .. إنَّ سُكَّانَ هذه البلادِ من البَرْبَر .. وأنتَ قد خَبَرْت [3] البَربَر فى كل حُرُوبِكَ ، وتَعْلَمُ كيف تَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ ..

(١) جنحوا : مالوا : سورة الأنفال من الآية ٦١ .
(٢) القوط : الشعب الذى احتل جنوب أوروبا الشرقى .
(٣) خبرت : عرفتهم على حقيقتهم .

المناقشة

١ خشى أهل تيهرت أن يلقوا مصير أهل المدن السابقة.
فماذا فعلوا ؟

٢ ماذا وجد عقبة مدينة تيهرت؟ وماذا فعل بأهلها ؟

٣ (أما طنجةُ التى كان عقبةُ وجيشُه على أميال منها فقد خرج مَلِكُها فى جَمْعٍ من رجاله؛ لاستقبال القائد العربى والترحيب به؛ لأن هذا الملك كان لا يضمر شرّاً للمسلمين ولا يناصبهم العداء) .
(أ) ما مضاد «يضمر»؟ وما المراد بقوله: «لايناصبهم العداء» ؟
(ب) لماذا أحسن ملك طنجة استقبال عقبة وجيشه ؟
(جـ) كيف أكرم ملكُ طنجةَ عقبةَ ؟

٤ فكر عُقْبَةُ فى فتح الأندلس .
فَبمَ نصحه ملك طنجة ؟ ولماذا ؟

٥ وأنت قد خبرت البربر .
وأنت قد عرفت البربر .
أى التعبيرين تفضل ؟ ولماذا ؟

٦ بماذا تَصِفُ مَوْقِفَ الملك (يليان) من (عقبة) ؟

C M Y K

٢٠ غزوُ السُّوسِ

سَكَتَ عقبةُ هنيهةً، بدَا عليه خِلاَلَها (١) أنه اقْتَنَعَ بَكَلامِ يُلْيان .. وفِعْلاً أمر جَيْشَهُ بالتوجُّهِ إلى السُّوسِ الأدْنَى .

انْطَلقَ الجيشُ الإِسْلامىُّ، يتقدَّمُه (عقبةُ) القائدُ المظَفَّر؛ حتى وَصلَ إلى مَشارِفِ (٢) مدينةِ « وَلِيلَى » وهِىَ تقَعُ فى غَرْبِ فاس الشَّمالى. وَتُسمَّى اليوم قَصْرَ فِرْعَوْنَ ..

أرْسل (عقبةُ) منْ يدعو أهْلَ المدِينة إلى الإِسْلاَمِ.. ولكنَّهمْ رَفَضُوا، وصَمَّمُوا على قتالِهِ، وكانُوا من الكثرة بحيث لا يتوقعون الهَزيمةَ أبدًا..

لكنْ متَى كانتِ الكَثْرةُ تَغلِبُ جيوشَ المسْلِمينَ ؟.. إنَّ الجيوشَ التى هَزَمها (عقبة) تزيدُ على جَيْشِهِ آلاف الْمَرَّاتِ.. ولهذَا ما لَبثَ (عقبةُ) بعد عَوْدَةِ رَسُولِهِ، حَاملاً رَفْضَ البربرِ دُخُولَ الإِسْلامِ، أن أمرَ باقتحام المدينةِ، وسَرْعان ما هجمَ عليها المسلمونَ، واشْتبكوا مع البربر فى

(١) خلالها : أثناءها.
(٢) مشارف المدينة : حدودها القريبة .

معركةٍ استمرتْ بِضْعَ ساعاتٍ، فرَّ بعدها البربر فُلُولا [١] ممزقةً متناثرةً، يتجرَّعُون [٢] كأسَ الهَزيمةِ والهوانِ..

كانَ مِنَ الطبيعيِّ ، وقد هزَمَ عقبةُ البربرَ فى السُّوس الأدنى هزيمةً ساحِقَةً [٣] وَغَنِمَ منهم مَغانِمَ عديدةً أن يتجهَ إلى السُّوس الأقصى؛ لِيُكَمِّلَ عِقْدَ [٤] انْتِصَاراتِهِ فى المِنْطَقَةِ، ويَرْفَعَ عليها رايَةَ الإِسْلاَم ..

لم يكُنْ سَيْرُ جيشِ عُقبةَ إلى السُّوس الأقصى مُفاجَأةً لأهْلِهِ؛ لأنهم كَانُوا يَعْلَمُون تفاصيلَ ما حَدث فى السُّوس الأدنى ؛ ولذلك كانَ اسْتِعْدَادُهُمْ كبيرًا .. سواء فى العددِ أو فى العتادِ .

حَشَدوا حُشودَهُمْ أمامَ أسوارِ المدينةِ ، واستعانُوا بكلِّ القبائِلِ المجاورةِ لَهُمْ.. حتى إذا ما لَمَحُوا الجيشَ الإِسلامِيَّ مقبلاً، تَسْبِقُهُ أصواتُ التهْلِيلِ والتَّكْبِيرِ، تقدموا للِقائِهِ، وخاضُوا معركةً داميةً أذاقَهُمْ فيها (عقبةُ) وجيشُهُ أسْوأَ هَزيمةٍ فى تاريخ حُروبِهم.

أرادَ البربرُ أن يَعْتَصِمُوا بِمَدِينتهِمْ ، ويتفادَوْا [٥] ضَرباتِ المُسْلمينَ ، ولكنَّ المسلمينَ كانوا أسرعَ منْهُمْ إلى المدينةِ ، فقد

(١) الفلول : المهزومون : المفرد : الفل .
(٢) يتجرعون : يشربون .
(٣) ساحقة : لم تبق شيئا .
(٤) عقد : وسط وأجمل انتصاراته .
(٥) يتفادوا : يتحاموا ويتعدوا .

مَلَئُوا شَوارِعَها بِخُيولِهِم ، واسْتَولَوْا على الأموالِ الموجُودَةِ فى خزائن أشرافِها وسَبَوْا (١) عددًا كبيراً من الجَوَارِى .

أسْفَرتْ المعاركُ التى أدارَها عقبةُ بمهارةٍ عَسْكَرِيةٍ، وعبقريةٍ حربيةٍ عن سُقُوطِ وَسَطِ المغْربِ الأقصى وجَنُوبِه فى أيدى المُسْلمينَ .

لَمْ يَبْقَ أمام عُقبةَ إلاَّ الصَّحراءُ ، ولكنه كان مُغْرمًا بالغزوِ والفَتْحِ، لا يَكادُ يَنْتَهِى من مَعْرَكةٍ ؛ حتى يَدْخُلَ فى معركةٍ أخرى .. ولا يكادُ يَقهَرَ أعداءَ الإسلام فى مكانٍ ؛ حتى يَبْحَث عنهم فى مكانٍ آخر ، ويذيقَهُم مرارةَ الْقَهْرِ (٢)..

فِيمَ كانَ يفكِّرُ القائدُ الكبيرُ فى هذه اللحْظَةِ ؟ إنَّه لَمْ يتعوَّد، وهو على رَأسِ الجيْشِ ، أن تأخُذهُ سِنَة من الرَّاحةِ أو الهُدوء .

وإذا كانَ قد أمْضَى فترةً من حياتِه بعيدًا عن الفتوحاتِ فإنَّه كانَ فى تلك الفترةِ مُسْتَبْعدًا عن القِيادَةِ ..

أما الآن، وهو على رَأسِ جَيْشٍ كَبير يَضُمُّ آلافَ المجاهدينَ ممن وهبوا حَياتَهمْ لدعْوةِ الحق ، وباعُوا أنْفُسَهُمْ لله ، فليس لَدَيهِ ما يَبرِّرُ به قُعُودَهُ عن الغَزْوِ والفَتْحِ ..

(١) سبوا : أسروا
(٢) القهر : الغلبة.

المناقشة

١ ما موقف عقبة من نصيحة ملك طنجة له بالنسبة لفتح الأندلس ؟

٢ القِلة المؤمنة تستطيع بقوة إيمانها أن تنتصر على الكثرة المشركة. دَلِّلْ على ذلك مما حدث لأهل مدينة (وَلِيلَى).

٣ راية – عقد – ساحقة – عديدة – البربر .

ضع كل كلمة من الكلمات السابقة فى مكانها المناسب فيما يأتى:

كان من الطبيعى وقد هزم عقبة... فى السوس الأدنى هزيمة..... وغنم منهم مغانم.... أن يتجه إلى السوس الأقصى ؛ ليكمل..... انتصاراته فى المنطقة ويرفع عليها... الإسلام .

٤ كيف استعد أهلُ السُّوس الأقصى لملاقاة المسلمين ؟

٥ هُزِم أهل السوس الأدنى هزيمة ساحقة، وضح ذلك .

٦ كان عقبة ذا إيمان صادق وعزيمة قوية لا تعرف الراحة أو الهدوء. تحدث عن ذلك من خلال فهمك لهذا الفصل.

C M Y K

٢١
عُقبةٌ على شاطئ الأطلنطي

وَجَّهَ عقبةُ فَرسَهُ نَحوَ الغَرْبِ... فلم يَلْقَ فى طريقِهِ غَيْرَ الرِّمَالِ والصُّخُورِ.. ووجَدَ نَفْسَه قد وَصَل إلى شَاطِئِ المحِيطِ الأَطْلَنْطِيِّ.. عندَ ذلك أَوْقَفَ الْفَرَسَ على الشاطئ قليلاً، ثم أقحمه فى المحِيطِ؛ حتى بلَغَ الماءُ صَدرَهُ، وتَطَّلعَ نَحْو السَّماءِ وقال:

«يا ربِّ ... لولاَ هذَا المحيطُ لَمَضيْتُ فى البلادِ إلى مُلْكِ ذى القَرْنَيْنِ (١)، مُدَافِعًا عن دِينِك، ومُقَاتِلاً من كَفَرَ بِكَ .. وَعَبَدَ غَيْرَكَ ..» .

ثُم أرسلَ (عقبةُ) نظرةً طويلةً فاحصةً متأمِّلةً على الأمْواج التى لا تَهْدَأ ولا تستقرُّ، وَوَمضت فى ذهنِهِ خواطِر شتَّى (٢) عن حركة الفُتوحاتِ الإِسلاميَّةِ التى أخذتْ تَغْسِلُ بنورِ الله ظُلْماتِ الكونِ وظَلامه، وتَمْحُو ما عَلِقَ بثيابِ الحياةِ من آثار الطُّغاةِ والمستبدِّين، وتبعثُ فى آفاقِ الدنيا وميضًا (٣) من الهداية والعَدالةِ ، وتُقدّمُ

(١) ذى القرنين : الإسكندر الأكبر الذى ملك فارس والروم .
(٢) شتى : متفرقة . (٣) وميضا : نورا يملأ الدنيا .

C M Y K

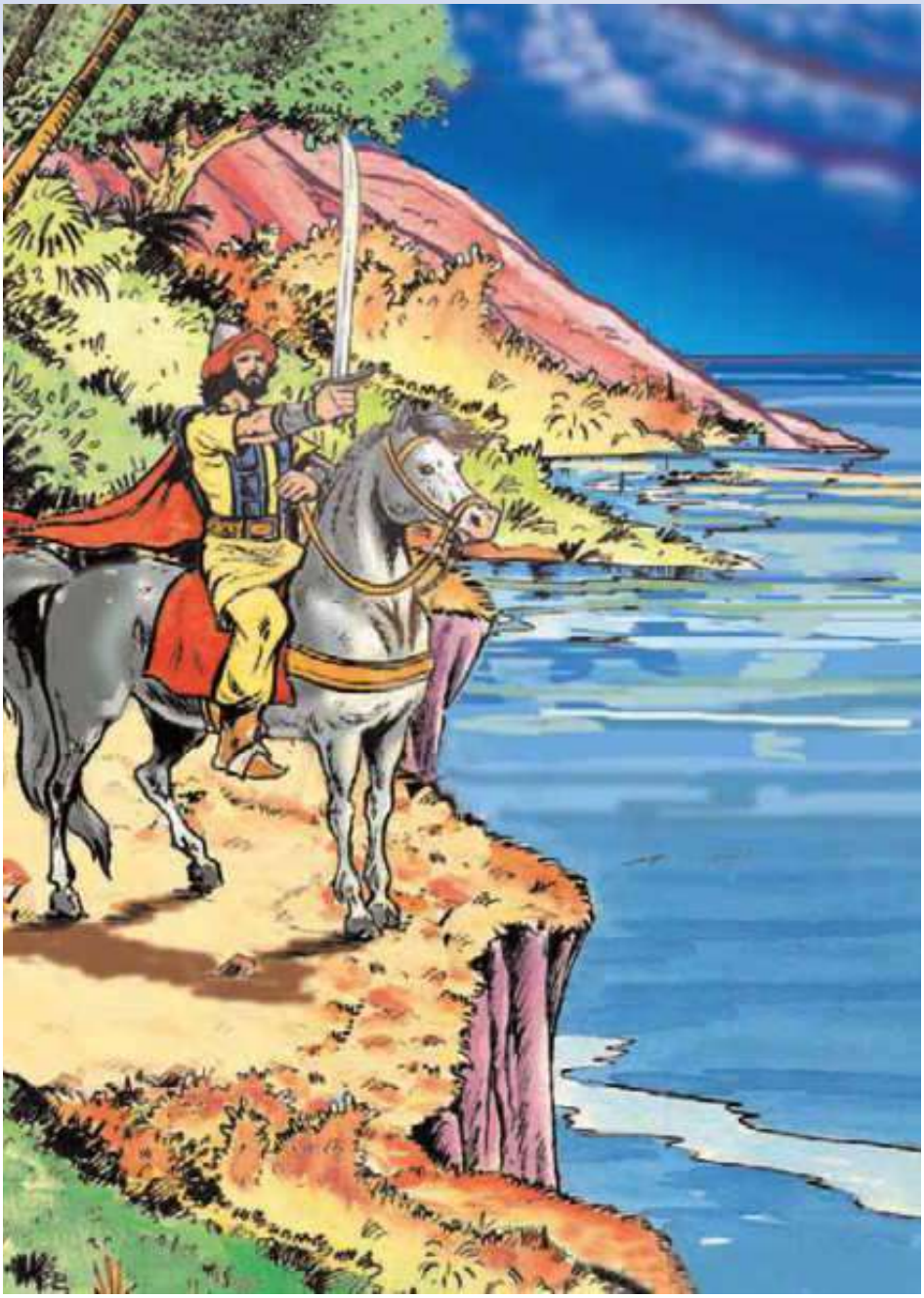

C M Y K

لإنسانِ هذا الكونِ أغْلَى القِيَمِ ، وأسْمَى المبادئ، وأجملَ الأخلاقِ، فى رسالةٍ سماويَّةٍ، كلُّها إشراقٌ وسموٌّ وصَفاءٌ .

تدفَّقتْ هذه الخواطرُ الملهمةُ الشفافةُ على ذهنِه ، كما تَتَدَفَّقُ السَّكِينَةُ (١) على قَلبِ المؤمنِ ، فتزيدُهُ إيمانًا ، ثم انثالت (٢) هذه الخواطرُ على لسانِهِ كلماتٍ ، فيها من ألَقِ (٣) وجدانِهِ ، وَوَمْضِ (٤) مشاعرِهِ ، قال (عقبةُ) يُنَاجِى المحيط :

«أيُّهَا البحرُ الزَّاخِرُ (٥). إنك حُلْتَ بين المسلمين وبين مُواصلةِ زَحْفِهِم المُقَدَّسِ إلى غايةٍ مُقدَّسةٍ.. إن فى نَفْسِ المسلمِ من قُوَّةِ الإيمان والعزيمةِ ما فى مَوْجِكَ الصَّاخبِ (٦) من قُوةِ التَّلاطُمِ والانْدفاعِ.. وإذا كانتِ القرونُ تمرُّ بِكَ فلا تَزْدادُ إلا عَظمةً وجلالاً، فإنَّ الإسْلامَ سيظلُّ فى خلودِهِ (٧) وبَقائِهِ رائعًا كموجِكَ المتجدِّدِ، صافياً كمائكَ النقِيِّ.. وسوفَ تُشَاهِدُ أيُّها البَحْرُ سُفُن

(١) السكينة : الطمأنينة أو الوقار .
(٢) انثالت : تتابعت الخواطر عليه .
(٣) ألق : لمع وأضاء .
(٤) ومض : لمعان .
(٥) الزاخر : الذى فاض ماؤه .
(٦) الصاخب : العالى المرتفع ماؤه .
(٧) خلوده : بقاؤه أو دوامه .

C M Y K

المسْلمِينَ وَهِيَ تمخُرُ (١) عُبابَكَ (٢) ، يرفرفُ عليها لـواءُ اللهِ، وتحفُّـهـا(٣) هـالاتُ النصر ويفوحُ منها عبيرُ(٤) الحقِّ واليقينِ)).

ثم أدارَ عقبةُ زمامَ فرسِهِ ، وعادَ إلى الجَيْـشِ ، وكـانَ يُفَكِّرُ فى القِيامِ بغزواتٍ جديدةٍ تُضِيفُ مَهابةً وجَلالاً إلى عِزَّةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَميَّةِ .

ماذَا يفعلُ، وقد حالَ المحيطُ الأطلنطى بَيْنَهُ وبينَ إشبَاعِ رَغْبَتِه فى الغَزْوِ والفَتْحِ .. إن هِمَّتَه ـ برَغْمِ أنَّه جَـاوزَ السـتين من عمره ـ لم تَفْتُرْ، وعزيمتَه لم تَعْرِفِ الكَلَلَ (٥) ... إنَّه مُنْذُ فَتَحَ عَيْنَيْهِ على نُور الحَياةِ، وهو يَعْشَقُ الجِـهادَ ، ويطـرَبُ لِصَـليلِ (٦) السُّيوفِ. ولـقـد عـاصـرَ أزهـى(٧) سـنـواتِ الـفَـتْـحِ فـى عَـهْـدَىْ عُـمـر وعثمان... وخاضَ كثيراً من المعَارِكِ ، وذَاقَ حلاوةَ النَّصْرِ...

(١) تمخر : تشق .
(٢) عبابك : موجك المرتفع .
(٣) تحفها : تحيط وتستدير حولها .
(٤) العبير : الرائحة الطيبة .
(٥) الكلل : التعب .
(٦) صليل السيوف : صوتها .
(٧) أزهى : أجمل وأعظم .

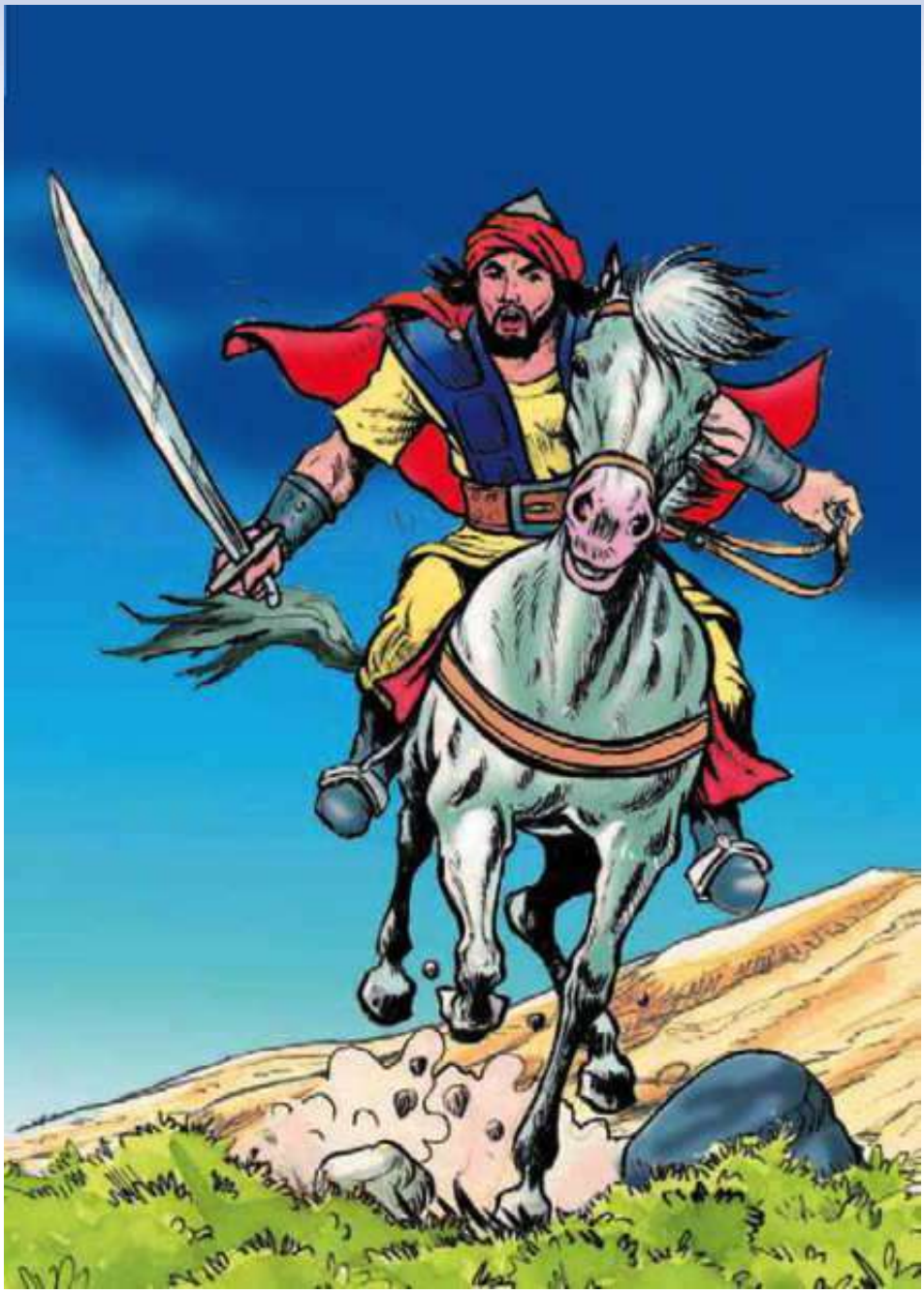

ثم أدارَ عقبةُ زمامَ فرسهِ، وعادَ إلى الجيشِ

المناقشة

١ لماذا دخل عقبة بفرسه فى مياه المحيط، حتى بلغت صدر جواده ؟

٢ بماذا دعا عقبة ربه وهو واقف أمام المحيط ؟

٣ (تدفقت هذه الخواطر الملهمة الشفافة على ذهنه كما تتدفق السكينة على قلب المؤمن فتزيده إيمانا ثم انثالت هذه الخواطر على لسانه كلمات فيها من ألق وجدانه، وومض مشاعره) .

(أ) ما معنى « انْثَالَتْ » ؟ وما مفرد « الخواطر » ؟ وما المراد بـ «السكينة » ؟

(ب) ما العلاقة بين الجهاد فى سبيل الله وبين زيادة الإيمان؟

٤ لقد جاوز عقبةُ الستين ، ولكن عزيمته لم تعرف التَّعَبَ. وضح ذلك من خلال قراءتك لهذا الفصل.

٥ ما الآثارُ التى أحدثها الإِسلام فى الكون والحياة والناس؟

C M Y K

٢٢
كَاهِنَةُ جِبَالِ أوراس

بَيْنَمَا كان عُقبَةُ يُفَكِّر فى غَزواتٍ جديدةٍ يُعْلى بهَا شأنَ الإِسْلام، كانَ أعدَاءُ الله يُدبِّرونَ له المكَايِدَ، وكانَ على رأسِ هؤلاءِ الأعداء الكاهنة، ملكةُ جبالِ أوراس (١) .

جَمعتْ هذه الكاهنةُ أولادَهَا الثَّلاثَة، وقالتْ لهم :

«إنَّ جَيْشَ المسلمينَ لا قِبَلَ (٢) لنا بِمُحَارَبَتِهِ .. وأنْتُم تَعْرِفُونَ أنه هزَمَ جَمِيعَ القَبائِلِ، وأخضعَها لحُكْمِهِ .. وليس أمامَنا إلا حِيلةٌ واحدةٌ للقضاء عليه.»

سَألَهَا أولادُها الثلاثَةُ :

– وما هذه الحيلةُ ؟

قالتِ الكاهنةُ :

– أنْ تَذهَبُوا إلى الطُّرقِ التى سارَ فيها الجَيْشُ العربِيُّ، وتَرْدِموا

(١) جبال أوراس : سلسلة جبال بالجزائر .
(٢) لا قبل : لا طاقة ، أو لا قدرة .

الآبارَ .. حتى إذَا ما عـاد من نَفْسِ هذه الطُّرقِ لا يجدُ ماء؛ فيموت عطشًا ..

خرجَ أبناءُ الكاهنةِ ، ومَعَهُمْ عَدَد من أعْوانِهم إلى الطُّرُق التى سلَكَها (عُقبةُ) وجيشُهُ فى أثناءِ مَسِيرِهم إلى طَنْجَة، وردمُوا كلَّ الآبـارِ الموجـودةِ على جانِبَيْهَا .. دونَ أنْ يَعْـلَمَ (عقبةُ) أو أحدٌ من رجالِهِ بما دَبَّرَتْهُ الكاهنَةُ ..

إلا أن هذه المكيدة لم تُحَقِّقِ الهدَفَ المَنْشُودَ (١) مِنْهَا . فقد عَادَ (عقبةُ) بالجْيشِ من طريقٍ آخر. ولَمَّا وَصلَ إلى مَدينةِ طَنْجَةَ وتقَعُ فى غَرْبِ جبالِ أوراسَ ، رأى البَرْبَرَ فى حالةِ هُدوءٍ تامٍّ ..

ظـنَّ القـائِدُ العـربِيُّ أنَّ البـربـرَ أخْـلَدُوا (٢) إلى الاسْتِسْلاَمِ و لم يَعُدْ فيهم من يُحِبُّ الحربَ .. فَأَذِنَ لمُعْظَم جَيْشِهِ أن يَعُودَ إلى القَيْرَوَانِ من شَمَالِ جِبَالِ أوراس.. ثم أبْقَى معه ثلاثمائةِ مقاتلٍ فَقَطْ ..

(١) المنشود : المقصود .
(٢) أخلدوا : لجنوا أو مالوا .

المناقشة

١ (إن جيش المسلمين لا قبل لنا بمحاربته وأنتم تعرفون أنه هزم جميع القبائل وأخضعها لحكمه وليس أمامنا إلا حيلة واحدة للقضاء عليه)

(أ) هات معنى « لاقبل »، ومرادف « أخضع » فى جملتين من تعبيرك.

(ب) من قائل هذه العبارة ؟ ومن الذين خاطبهم بها ؟

(جـ) ما الحيلة التى دُبِّرَتْ للقضاء على الجيش الإسلامى؟ وكيف نُفِّذَتْ ؟

(د) لماذا لم تُحقِّق المكيدةُ هَدَفَها ؟

٢ لماذا أذن عقبة لمعظم جيشه بالعودة إلى القيروان من شمال جبال أوراس ؟

٣ دلل على ثقة عقبة باستسلام البربر ، ووضح تصرف عقبة نتيجة لهذه الثقة .

C M Y K

٢٣
استشهادُ "عُقبَةَ"

كانَ هُدوءُ البَربرِ هو السكونَ الذى يَسْبِقُ العاصِفَةَ ، إذْ سَرعانَ ما عَلموا أن عُقبةَ صَرفَ جَيْشَه، وَبَقِىَ فى عَددٍ قليلٍ من رِجالِهِ، ووجدتِ الكاهنةُ أن الفُرصَة قد سنَحَتْ (١) للانْقِضاضِ(٢) على القائدِ الْعَرَبِىِّ، أخذاً بثأرِ البربرِ، فاتَّصلتْ بزعماء القبائِلِ الذين حَشَدوا جنودَهُم عند قلعةِ (تهودةَ) حيثُ اتجهَ (عُقبةُ)..

فُوجِئَ القائدُ المظفَّرُ، والبطَلُ المؤمنُ الذى هَزَّ البلاطَ البيزنطىَّ بانتصاراتِهِ وفتوحاتِهِ ، بآلافِ الجُنودِ من البربر يسدُّونَ عليه مسالِك وشِعَابَ (٣) الجبالِ.

وأَعْجَبُ من هَذا أنه رأى (كُسَيْلَةَ بن لمزَم) يتقدَّمُ هذه الجيوشَ، وكانَ عقبةُ قد قبضَ عليهِ وسجنَهُ لتصرفاتِهِ المُعاديةِ له ويطلُبُ من (عُقبةَ) التَّسْليمَ ..

(١) سنحت : عرضت أو سمحت .
(٢) الانقضاض : الهجوم أو الاندفاع .
(٣) شعاب : المفرد شعب ، وهو الطريق بين الجبلين .

كان كُسَيْلَةُ قد هَربَ فى أثناءِ عودة الجيشِ إلى القَيْروَانِ، وَمرَّ على القبائِلِ يَدعُوها لقتال (عُقبَة) وجُنْدِه، ويستحثُّهم على الأَخْذ بالثأرِ من المسلمين .

تخيَّل (كُسيلةُ) أن عقبةَ سيرفَعُ رايَة التَّسْليم؛ لأنه أمام جيشٍ يضمُّ الآلاف من أبناءِ جِبال أوراس ... ولكنَّه ذُهِلَ إذْ رأى (عُقبةَ) يتقدَّمُ جنودَه فى جُرأة نادرةٍ ... وينادى فيهم:

– إنها الشَّهادَةُ أيُّها المؤمنون .

ثُم اندفَعَ بفرسِهِ وَسَطَ جُموعِ البَرْبرِ ، يهلِّلُ ويكَبِّرُ، ويضربُ بِسَيْفِه يَمْنةً وَيَسْرةً ، وَيَتلقَّى ضرباتِ الأعداءِ فى صَبْرٍ وَثباتٍ..

وكان رفاقُه الثلاثمائة قد اقْتَحَمُوا بَدَوْرِهِمْ حُشُودَ البربَرِ، فظلُّوا يقاتِلُونَ ويقاتِلونَ حَتَّى أحْدَقَ[1] بهم البربرُ من كلِّ جانبٍ، فاسْتُشْهِدُوا جَميعًا، وَخَضَّبتْ دماؤُهُمُ الزكيَّةُ أرض تهودة، وَرقَد (عُقبةُ) ورفاقُهُ فى قبورٍ بتلك البقعةِ التى ما زالت مَعْلَمًا[2] من مَعَالِمِ التَّاريخِ .

(١) أحدق : أحاط .
(٢) المعلم : الأثر .

المناقشة

١ (وَجَدَتِ الكاهنة أن الفرصة قد سَنَحَتْ لِلانْقضاضِ عَلَى القائِدِ العربيِّ أخْذًا بثأر البربر، فاتصلت بزعماءِ القبائل الذين حَشَدُوا جنودهم عند قلعة « تهودة » حيث اتجه عقبةُ)

(أ) هات مرادف «سنحت» ، ومضاد «الانقضاض» فى جملتين من إنشائك .

(ب) بماذا فُوجئ (عقبةُ) فى أثناء عودته إلى طَنْجة ؟

(جـ) أظهر (عقبةُ) جرأةً نادرة أذهلَت الأعْداءَ. وضح ذلك.

٢ انتهت حياةُ (عقبة) ومن معه نهاية الأبطال. تَحَدَّثْ عن ذلك بأسلوبك .

مناقشة عامة للمراجعة

١ « لم تكن صلةُ القرابة بين (عمرو بنِ العاصِ) و(عقبة بن نافع) هى الدافع الذى حَدَا بعمرو إلى أن يختار عقبة للاشتراك فى هَذَيْن الفتحين المهمين»

(أ) هاتِ جمع « صلة » ومرادف « حَدَا » فى جملتين من إنشائك.

(ب) ما الفتحانِ اللَّذان اختار (عمرُو بنُ العاصِ) (عقبةَ) لهما؟

(جـ) ما الدافع الحقيقىُّ الذى جعل (عمرًا) يختارُ عقبةَ للاشتراك فى هذين الفتحين؟

٢ « لم يَكنْ منظر الأمواج وَرَوْعة البحر هما ما يشغلُ بالَ الفاتح، وإنما كان يشغلُه مَعْنى كبيرٌ، إنه قد انتصر على الرُّومِ فى الشامِ، وانتصر عليهم أيضًا فى مصرَ، وارتفعت راية الإسلامِ ترفرفُ على المِنْطقةِ كلِّها، ودخَل الناسُ فى دين الله أفواجًا »

(أ) ما معنى كلٍّ من « رَوْعَة ـ بالَ »؟ وما المقصودُ بقوله: «أفواجًا»؟

(ب) كان لانتصار عمرو بن العاص على الروم أثرٌ كبيرٌ على المنطقة كلها. وضح ذلك .

(جـ) ما الذى كان يشغلُ بالَ عمرِو بن العاص بعد أن أَتَمَّ فتح الإسكندرية ؟

٣ «إننى تبينت من خلال اختلاطى بأهل هذه البلاد، أنهم يكرهون الروم، ويمقتون الحكم البيزنطى؛ لأن الحكام الروم فرضوا عليهم ضرائب باهظة»

(أ) هات مرادف «يمقتون»، ومضاد «باهظة» فى جملتين من عندك.

(ب) من قائل هذه الفقرة ؟ ولماذا قالها ؟

(جـ) ماذا فعل عمرو بن العاص حينما وصله خطاب عقبة ؟

(د) رأت القبائل البربرية فى قدوم عمرو بن العاص وجيشه بشائر الفجر الجديد. وضح ذلك.

٤ «لم يكن هدف عمرو هو الاستيلاء على برقة وحدها، وإنما كانت مطامحه تمتد إلى فتح هذه البلاد؛ حتى يصل إلى إفريقية، وينشر تعاليم الإسلام فيها»

C M Y K

(أ) هات مفرد «مطامحه»، وجمع «فتح» فى جملتين من عندك.

(ب) ما البلاد المشار إليها فى العبارة ؟

(جـ) هل فتح عمرو بن العاص هذه البلاد ؟ ولماذا ؟

(د) ما رأى سيدنا عمر بن الخطاب فى عزم عمرو بن العاص على فتح إفريقية؟

٥ «إزاء رفض الخليفة غزو إفريقية لم يجد عمرو بن العاص بُدّاً من العودة إلى مصر، ولكنه أمر عقبة بأن يقيم فى برقة»

(أ) ضع معنى كل من (إزاء – بد) فى جملتين من تعبيرك.

(ب) لماذا أمر عمرو بن العاص عقبة بأن يقيم فى برقة ؟

(جـ) كم سنة استمرت فيها إقامة عقبة فى برقة؟

(د) كانت إقامة عقبة فى برقة خيرا له ولأهلها. وضح ذلك.

٦ «رد عقبة: أن تقتصر فى هذه الغزوة على الرقعة التى يبسط عليها (جرجير) نفوذه؛ لأننا إذا قمنا بحملات جانبية فإن البربر والروم سينقضون علينا من كل ناحية»

(أ) ضع مرادف «ينقضون»، وجمع «ناحية» فى جملتين من تعبيرك.

(ب) هذا الرد إجابة عن سؤال. فمن السائل ؟

(جـ) ماذا تعرف عن (جرجير) ؟

(د) ما المدينة التى كان جرجير يبسط فيها نفوذه ؟

٧ «كانت أنباء الغزو العربى قد وصلت إلى مسامع (جرجير) فجمع ضباطه وجنوده، وخطب فيهم أن يجعلوا نهاية العرب على أيديهم فى هذه المعركة»

(أ) ضع معنى «الغزو»، ومفرد «مسامع» فى جملتين من إنشائك.

(ب) ماذا عرض (جرجير) على جيشه ؟

(جـ) ما أثر ما عرضه (جرجير) فى ضباطه وجنوده ؟

(د) كيف قابل عبد الله بن سعد ما خصصه (جرجير) من جائزة لقتله ؟

C M Y K

٨ «إن الفرصة واتته من جديد لإشباع رغبته فى خوض المعارك ضد أعداء الله، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وجلب المغانم إليها، وإنقاذ القبائل البربرية من مخالب الوثنية والجهالة»

(أ) ضع مرادف «جلب»، ومفرد «مخالب» فى جملتين من عندك.

(ب) كيف واتت الفرصة عقبة ؟

(جـ) ما القبيلة التى بدأ بها عقبة أعماله الحربية سنة ٤١ هـ ؟

(د) كيف قابلت هذه القبيلة عقبة وجيشه ؟

٩ «عندئذٍ أطلق عقبة سراح ملك ودان، وتأهب للذهاب إلى فزان، وهى تبعد عن قبيلة ودّانَ بمسيرة ثلاثة أيام.. ولما دنا منها عسكر بجيشه فى مكان يبعد عنها بستة أميال»

(أ) هات مرادف «تأهب»، ومضاد «دنا» فى جملتين من إنشائك.

(ب) لماذا اتجه عقبة إلى قبيلة ودان ؟

C M Y K

(جـ) ما السبب فى إطلاق عقبة سراح ملك ودان ؟ وعلام يدل ذلك ؟

(د) اختلف موقف ملك (فزان) عن موقف أهلها من الإسلام. وضح ذلك.

١٠ « أخذت الدهشة ملكَ «فزان» إِذْ رأى الرجلَ الذى اهتزت المِنطقة كُلُّها لمقدمه، وارتعدت فرائصُ الحكام رُعْبا منه، يفترشُ الأرضَ. ولايبدو عليه أىُّ مظهر من مظاهرِ الفخْر والخُيلاَء »

(أ) (فرائص – الخيلاء – الدهشة) مامفرد الأولى؟ ومامعنى الثانية؟ وما المراد من الثالثة؟

(ب) لم أخذت الدهشة مَلِكَ «فزان» عندما وصل إلى عقبةَ ؟

(جـ) عامل عقبة ملك «فزان» معاملة كريمة. وضح ذلك من خلال قراءتك القصة .

١١ اكتب مذكرات مختصرة عمايأتى :

(أ) عبقرية (عقبة) فى فتح مدينة « خاوار »

C M Y K

(ب) استجاب الله دعاءَ (عقبةَ) فأخرجه من محنَةِ العطش الذى كاد يقضى على جيشه .

(جـ) تفكيرُ عقبةَ فى بناء القيروان .

١٢ «كبر (عقبة)، وكبر المسلمون، وأخذ عدد منهم يطفئ غلته بهذا الماء العذب، وفى الحال أمرهم عقبة بحفر سبعين حفرة فى هذه البقعة، لعلهم يجدون ماء زلالا»

(أ) ضع معنى «زلالا»، وجمع «غُلَّة» فى جملتين من تعبيرك.

(ب) لماذا كبر (عقبة) وكبر المسلمون ؟

(جـ) كان عثور المسلمين على الماء معجزة. وضح ذلك، وبين أثره فى انتشار الإسلام.

(د) لماذا سمى هذا المكان «ماءَ فرس» ؟

١٣ «بينما كان حكام الولايات البيزنطية يفكرون على هذا النحو، كان عقبة يفكر فى أمر آخر... كان يفكر فى إقامة مدينة تضم الجيش بأمتعته وأسلحته، وتكون فى نفس الوقت عاصمة للدولة الإسلامية فى هذه المنطقة»

(أ) هات مرادف «النحو»، ومفرد «أمتعته» فى جملتين من عندك.

(ب) فيم كان يفكر الحكام البيزنطيون ؟

(جـ) ما اسم المدينة التى أقامها عقبة ؟ وبم كان يسمى مكان إقامتها ؟

(د) تغلب عقبة على الصعوبات التى واجهته فى هذا المكان. وضح ذلك.

١٤ «من الإنصاف أن نقرر أن عزل عقبة لم يكن سببه انشغاله ببناء القيروان عن مواصلة الفتوحات. فإن بناء القيروان كان ضرورة يحتمها الموقف العسكرى فى ذلك الوقت»

(أ) تخير أدق إجابة مما بين القوسين لما يأتى:

مرادف «يحتمها»: (يستحسنها – يطلبها – يوجبها).

(ب) هل كان انشغال عقبة ببناء القيروان سبباً فى عزله؟ ولماذا؟

(جـ) لماذا كان بناء القيروان ضرورة يحتمها الموقف العسكرى فى ذلك الوقت؟

(د) كيف تلقى عقبة نبأ عزله عن قيادة الجيش؟

C M Y K

١٥ أجب عما يلى:

(أ) ماذا طلب عقبة من أبى المهاجر؟

(ب) ما الأمر الذى أصدره عقبة للمسلمين؟

(جـ) لماذا سميت مدينة القيروان بهذا الاسم؟

١٦ « لَقدْ جئنا هذه الأرضَ، وكانت تموجُ بالظلم، وكان أهلُها يرْسفُون فى قيود الاستعباد البيزنطى، ويبيعون أولادَهم؛ ليدفعوا الضرائب لسادة الرومان، فحررنا القبائل من الحكم البيزنطىِّ، وجعلنا الناسَ سواسيةً فى الحقوق والواجبات، وأدينا للفقير حقَّه من مالِ الغنى، وعوّضنا الأجَراءَ عن سنوات الظلم»

(أ) ما مرادف « سواسية» ؟ ومامضاد «تموج» ؟

وما المراد بقوله :«يَرْسُفون» ؟

(ب) كان هناك اختلافٌ واضحٌ بين الحكم الإسلامى والحكم البيزنطى. وضح ذلك .

(جـ) ظلَّ عقبة متوقِّد الحماسة لخوضِ المعارك فى سبيل الله، فما الذى كان يُعجبه، ويطربه، ويلذُّ له رؤيته ؟

١٧ «وبعد أن انتصف النهار، وكان الغبار الذى خلفه الجيش وراءه قد جاوز السحاب، نظر (عقبة) إلى بناءٍ على مرمى البصر، وسأل الأدلاَّءَ: ما هذا البناء؟ فقالوا: إنها مدينة باغاية»

(أ) ضع معنى «جاوز»، ومفرد «الأدلاء» فى جملتين من إنشائك.

(ب) كيف دخل عقبة مدينة باغاية؟

(جـ) ماذا اشترط عقبة على زعيم هذه المدينة؟

(د) ما اسم المدينة التى فتحها عقبة بعد مدينة باغاية؟ وكيف فتحها؟

١٨ « الْتَحمَ الجيشان فى قتال دامٍ مرير، وقد أظهر عقبةُ فى هذه المعركة من البسالة والجرأة ماخلع قلوب أعدائه من الرعب؛ إذ أَنَّهُ كان يصولُ ويجُولُ بفرسهِ، ويمزقُ الأعداء كل ممزق، ويرسل الضربة إثْرَ الضربة، فَيقْصِمُ الرءوس والهامات »

C M Y K

(أ) (التحم – الهامات – خلع القلوب) ما مُرَادفُ الأولى؟ ومامفرد الثانية؟ وما المراد بالثالثة؟

(ب) ظهرت جرأة (عقبة) وبسالته فى هذه المعركة مما أثار دهشَةَ الأعداء. وضح.

(جـ) ماذا كانت نتيجة المعركة التى دَارتْ حولَ مدينة (أَدَنَة) بالنسبة للمسلمين والبربر والروم؟

١٩ «ولكنهم قبل أن يبلغوا طنجة وجدوا فى طريقهم مدينة تيهرت...، وكانت إحدى المدن الحصينة فى عهد الروم، فخشى أهلها أن يخرجوا لقتال المسلمين، فيلقوا نَفْسَ المصير الذى لاقاه أهل المدن الأخرى، وكانوا أشد منهم قوة وبأسا»

(أ) هات مرادف «الحصينة»، ومضاد «بأساً» فى جملتين من عندك.

(ب) كيف وجد عقبة مدينة «تيهرت» عندما وصل إليها؟

(جـ) ماذا قرر أهل هذه المدينة؟

(د) كيف استولى عقبة على مدينة تيهرت؟

٢٠ «سكت عقبة هنيهة، بدا عليه خلالها أنه اقتنع بكلام «يليان»، وفعلاً أمر جيشه بالتوجه إلى السوس الأدنى»

(أ) هات مرادف «هنيهة»، وجمع «الأدنى» فى جملتين من إنشائك.

(ب) بم نصح «يليان» عقبة؟

(جـ) ما اسم المدينة التى وصل إليها عقبة؟ وما موقعها؟

(د) كيف كان رد أهل هذه المدينة على الدعوة إلى الإسلام؟

(هـ) لماذا أمر عقبة جيشه باقتحام المدينة؟

٢١ «ثم أرسل عقبة نظرة طويلة فاحصة متأملة على الأمواج التى لا تهدأ ولا تستقر، وومضت فى ذهنه خواطر شتى عن حركة الفتوحات الإسلامية»

(أ) ضع مرادف «ومضت»، ومفرد «خواطر» فى جملتين من تعبيرك.

(ب) ما الذى كان يتمناه عقبة؟ وما العقبة التى حالت بينه وبين ما كان يتمناه؟

C M Y K

(جـ) ماذا قدمت الفتوحات الإسلامية للإنسان؟

(د) عقد عقبة مقارنة بين المحيط والإسلام.. وضح ذلك.

٢٢ «بينما كان عقبة يفكر فى غزوات جديدة يعلى بها شأن الإسلام، كان أعداء الله يدبرون له المكايد، وكان على رأس هؤلاء الأعداء الكاهنة، ملكة جبال أوراس»

(أ) ضع مرادف «شأن»، ومرادف «المكايد» فى جملتين من إنشائك.

(ب) فى أى مكان تقع جبال أو راس؟

(جـ) ما الحيلة التى دبرتها ملكة جبال أو راس؟

(د) هل حققت هذه الحيلة الهدف المنشود منها؟ ولماذا؟

(هـ) اذكر ما يدل على ثقة عقبة باستسلام البربر، وبين نتيجة هذه الثقة.

٢٣ «فوجئ القائد المظفر، والبطل المؤمن الذى هز البلاط البيزنطى بانتصاراته وفتوحاته، بآلاف الجنود من البربر يسدون عليه مسالك وشعاب الجبال»

C M Y K

(أ) هات مرادف «مسالك»، ومفرد «شعاب» فى جملتين من عندك.

(ب) إلى أى مكان كان يتجه عقبة؟

(جـ) من الذى طلب من عقبة التسليم؟ وبم رد عليه عقبة؟

(د) كانت المعركة غير متكافئة. وضح ذلك، وبين نتيجتها.

- الصدق أقصر الطرق إلى الإقناع.
- الإنتاج هو طريقنا إلى القوة والرخاء.
- التعليم حق للجميع.. فاحرص على أن تكون دائمًا جديرا بهذا الحق.
- القراءة تغذى العقل.. والرياضة تقوى الجسم.. والفنون تهذب الإحساس.
- اغرس شجرة، أو ازرع زهرة.. تجد كل ما حولك سعيدًا باسمًا.
- من الإيمان أن تهتم بنظافة بدنك، وملابسك، وبيتك ومدرستك.
- تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات، يساعد على انتشار الأمراض.
- استعمال المرحاض الصحى والحفاظ على نظافته والإبقاء عليه مغلقًا وغسل الأيدى، يحد من الإصابة بالأمراض.
- قد تؤدى البلهارسيا إلى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين.
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص، وهى صحية وآمنة ومتاحة فى كافة الوحدات الصحية بلا مقابل.

دار الهضبة المصرية